رواية

كشف حساب

داليا العطار

الإهداء

إلى ...

- **روح والدي الحبيب**
- **أمي الحبيبة**
- **أخي الغالي**
- **روح والدة زوجي**
- **زوجي الكريم وأولادي (عمر وكريم)**
- **أخوتي (اخوات زوجي)**
- **أفراد عائلتي الكبيرة**
- **أصحابي من اهدتني الدنيا إياهم**
- **قرائي الأعزاء جميعهم**

أحبكم جميعا

داليا

شكر خاص

للإذاعي الأديب مرسي عبد العليم

على دعمه وتشجيعه

داليا العطار

المقدمة

أيها الزوج، أيتها الزوجة، ترفقا ببعضكما البعض أنتما بشر، والبشر خطاؤون وخيرهم التوابون، ليست الحياة سجالاً، إنها قصيرة مهما طالت، وما أيامها عسلٌ يؤكل، ولا هي علقم يتجرع، إنما طريق شاق يحمل الشهد والحنظل، فلنقتبس منها الفرح قبساً، ما أجمل حسن الاستماع، والكلمة الطيبة أفضل.

الفصل الأول

مرحلة نعيشها جميعاً في العقد الخامس مع بداية الأربعينيات، كل منا يمر عليها بطريقته الخاصة، فنري من يعبرها بسلام، يتعامل بتروٍ مع كل ما بداخله من صراعات، يصادقها، يروضها، يسعد بما حققه، يدرك أنه لولا السقوط ما تعلم الركض، يستمتع بكل مرحلة عمرية يعيشها، ولا يأسي على ما فرط من بين يديه، فما كان أن يُخطئه لو أنه من نصيبه، ينظر إلى الأمام سعيداً بما مضى، مستبشراً بما هو آت، يدرك أنه انسان يخطئ ليتعلم فيصيب بعد الخطأ.

وكذلك نجد من يرى حياته بأكملها خطأ كبيراً اقترفه في حق نفسه، وعليه أن يصححه، ويظل سؤالاً واحداً يلح عليه، ألا وهو:

كيف أدرك ما تبقى من حياتي؟

ثم يبدأ مرحلة البحث، ويظل يلهث خلالها وراء ما يسميه إصلاحاً، متغافلا الحقيقة التائهة والسؤال الأهم:

هل هناك أخطاء اقترفها في حياته حقاً؟ أم أنه يمر بأزمة عمرية لا يقوى على مجابهتها والاعتراف بها؟

فيقف خلالها باحثاً عن ضحية يلومها، كي يبرر القرارات الخطأ التي سوف يرتكبها في حق نفسه، وحق أقرب الناس إليه، انتقاماً لذاته العاجزة عن المواجهة، معتقداً أنه على صواب، منكراً أنانيته المستترة، رافعاً شعار: "أنا، ومن بعدي الطوفان".

وهناك نوع آخر يعرف أن حياته الزوجية تمر بأزمة، فيحاول أن يحتويها، فيجد أن الاحتواء المنشود سراب قد يكلفه حياته دون أن يدركه، فيتشبث ببقايا نفسه الجريحة، يجد في الصمت بلاغة تعجز عن وصفها الكلمات، يسير في طريقه بمنأى عن شريكه، متسلحاً بالقوة التي أوجدتها بداخله الصدمات.

وتمر الأيام كرهاً، ليستفيق الجميع على الحقيقة الغائبة، يرددون جملة واحدة، ألا وهي: "ليت الشباب يعود يوما"، فيبدأ الكل يتذكر أنه لم يدرك حقيقة السعادة إلا بعدما اشتعل الرأس شيباً، فينظر إلى أبنائه وهم يكررون الخطأ نفسه، فيحاول أن يدركهم بلا

جدوى، كما لم تُجدِ محاولات إدراك والديه له من قبل، وكأن التاريخ يعيد نفسه، لتتجدد مشاعر الألم والحسرة على ما فات وما هو آت.

- من الطارق؟

اعتادت الحاجة "فاطمة" أن تسأل هذا السؤال بلهفة، وتكون الاجابة: "إنه ليس جرس الباب، بل هو صوت السيارات في الشارع"

هكذا ترد عليها "سمية"، وهي سيدة ثلاثينية تعمل لرعايتها، حتى يطرق عم "سيد" حارس العقار الباب ليسأل عن طلبات المنزل قبل أن يذهب إلى السوق دون أن تشعر به الحاجة "فاطمة"، فهي تسمع صوت الباب في خيالها ولا تدركه عندما يدق.

تظل الحاجة "فاطمة" تسأل على أمل أن تسمع من "سمية" ما يسعد قلبها، حتى تأتي إليها "دينا"، تتفقد أحوال المنزل، وتحضر بعض المتطلبات، فتسألها الحاجة "فاطمة" وهي تعرف الإجابة جيداً: هل أتيتِ بمفردك؟

تلك السيدة الطاعنة في العمر التي تعيش بين أطلال بيت الزوجية الذي لم يعد ينبض بالحركة كسابق عهده، عندما كانت تضج في أرجائه أصوات متعددة، جرس الباب يدق لتدخل جارتها كعادتها اليومية، تتحدث معها وتحتسي الشاي، في الوقت الذي يتشاجر فيه الأولاد، فكل منهم يريد استخدام التليفون الأرضي، وسيلة الاتصال الوحيدة بالعالم الخارجي حينذاك، فضلاً عن صراخ الفتيات بحثاً عن متعلقاتهن المفقودة، ليكسر كل هذا الضجيج صوت الأب الذي كان نائماً بعد عودته من العمل، محذراً الجميع بضرورة التزام الهدوء، فتعلو ضحكات السيدتين اللتين اعتادتا هذا الموقف يومياً، سواء داخل هذه الشقة أو شقة الجارة المقابلة، وربما يكون هذا هو حال جميع الشقق بالعقار.

الأم المسنة التي لم تفارقها الروح بعد، تشابهت أيامها حتى أصبحت لا تضيف إليها سوى عدد سنوات تنبئها بدنو الأجل، وعدد كيلوجرامات تعوقها عن الحركة أكثر فأكثر، فلم يعد جرس الباب يدق، التليفون

الأرضي أصبح ديكوراً، ينقطع عنه الخط أحياناً لعدم دفع الاشتراك سهواً، لم تعد له أهمية كسابق عصره، قد كبر سنه وقلت مهاراته، تفوق عليه التليفون المحمول الذي يلازم السيدة، يسليها ويؤنس وحدتها، تنهار أحياناً لو تعطلت خواصه نظراً لسوء استخدامها له، حينها يأتي الأحفاد لإصلاح ما أتلفته الجدة، فتفرح كالطفلة، لكن فرحتها برؤية أحفادها قد تكون أشد حتى أنها أحيانا تتعمد إتلافه حتى تراهم، لم يبق لها سوى صور بالأبيض والأسود، تعيد إليها ذكريات زوج وأهل وجيران رحلوا، أبناء مضوا في طريقهم يغيرون وجهتهم أحياناً ليمروا عليها في عجالة، فتتمنى وقتها أن تتوقف عقارب الساعة حتى لا يرحلوا وتعود لوحدتها الطويلة.

إنها ليست سنة الحياة كما يسميها البعض، بل إنه جحود عباد يظنون أن ظروفهم الحياتية تضطرهم إلى القسوة على قلوب باتت مرهفة تسكن أجساداً هزيلة، لا تقوى على أن تبوح بحزنها وإنما تدخر قوتها حتى لا تهوي فلا تجد الا مزيداً من الاهمال يضاعف من

آلامها، متناسين أنهم سوف يواجهون المصير نفسه بأعمالهم، و"ما الدنيا إلا سلف ودين" وكشف حساب نتسلمه بأيدينا يوم الحساب.

الفصل الثاني

حدّث "خالد" نفسه، وحزم أمره، ثم قرر أن يفاجئ الجميع، وينتقل للعمل بفرع الشركة بنيويورك أو كما يطلق عليه العاملون فرع الصفوة، لكونه يحتاج إلى موظفين حاصلين على درجة "الماچستير"، يتمتعون بقدرات إدارية متميزة، لديهم القدرة على اجتياز العديد من الاختبارات، فضلاً عن لجوئه لمكتب محاماة بالولاية نفسها، والذي بدوره قدم له بعض المقترحات كشراء عقار حتى يسهل عليه الحصول على البطاقة الخضراء كخطوة أولى للوصول إلى الجنسية، أو التحايل بالزواج المشروط بدفع مبلغ شهري لسيدة أمريكية لهذا الغرض.

ولم لا؟! فهو أمر اعتيادي بالنسبة لـ "خالد" الذي يعيش بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة، أما بالنسبة لزوجته "دينا" فلن تجد أمامها إلا الرضوخ أو طلب الانفصال، حينها لن يشعر بالتقصير، فهو قرارها، وربما يكون هذا هو الأفضل لكليهما بعد اتساع الفجوة بينهما.

يمر "خالد" في طريق عودته بوالدته، بعد توسلات عديدة من "سمية"، التي ترأف بحال الحاجة "فاطمة"، التي يهيئ لها خيالها أن جرس الباب يدق، وأن "خالد"

ابنها الأكبر أتى لزيارتها، وتظل هكذا حتى يحضر إليها، فيتحسن حال السيدة بشكل ملحوظ، وترتسم على وجهها علامات الارتياح.

يتحدث "خالد" مع والدته عن المشكلات والمكائد التي يقابلها دائما في عمله، ليسمع منها ما يريح نفسه، فهي دائما تمنحه ما يرضيه، فضلاً عن انتقاداته التي لا تنتهي لـ"دينا" زوجته.

اعتادت الأم دائماً أن تطيب خاطر الابن الذي بالكاد يمر عليها على فترات متباعدة، وهي سيدة وحيدة بعد وفاة زوجها وزواج أبنائها، الذين يعانون قسوة ظروفهم المعيشية وضيق ذات اليد، على خلاف "خالد" الذي يعيش في سعة من الرزق، فيتكفل بمصاريفها، ولا يجد في نفسه غضاضة من مساعدة إخوته عند الحاجة.

سرعان ما تبدلت علامات الرضا على وجه الأم عندما أخبرها بنيته المبيته على السفر.

خيم الحزن على الأم العجوز، ولم تجد أمامها إلا الصمت الذي يكون في بعض الأحيان أبلغ من أي كلام، وفي أحيان أخرى يكون تعبيراً عن خيبة الأمل والندم.

تلك القوة التي كانت تغذيها في ابنها الأكبر على مر السنين ليكون راعياً لها بعد وفاة والده لم تأت بثمارها، فقد تحول إلى كائن أناني لا يسمع ولا يرى إلا نفسه، لم يعد مصدر أمان لها كما كانت تنتظر، تمنت أن يعود بها الزمن وتعلمه معني الحنان الذي كانت تخشى عليه منه، إنه ما تحتاج إليه الآن وليس المال كما يظن.

ما أصعب الشعور بالخزي وقلة الحيلة عند الكبر!

ظلت الحاجة "فاطمة" تتحدث إلى نفسها، بصوت تظنه منخفضاً نظراً لضعف حاسة السمع لديها، إلا أن "سمية" كانت تفسر كل كلمة تقولها، فكانت تردد:

- "لو كان وجد الراحة في بيته ما أقدم على السفر، إنها معقدة كما يقول، لا تهتم به، تتعالى عليه دوما بصمتها، إنها لا تعرف قيمته، تفاجئه دائما بقراراتها الصادمة، حتى زوجة أبيها التي ربتها بعد وفاة أمها لم تسلم من تعاليها عليها، تناديها بطنط، علاقتها بأختها الوحيدة غريبة، إنها شخصية مريضة كما يقول "خالد"، حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله ونعم الوكيل".

استمعت "سمية" لكلمات التذمر التي ترددها الحاجة الكبيرة، ولسان حالها يقول في صمت:

- إنها تهتم بأمورك كما لو كانت ابنتك وربما أكثر، فبناتك لا يأتين إليك إلا ليشتكين ضيق العيش ويطلبن المساعدة، أو يتركن أولادهن طوال النهار لقضاء حوائجهن في هدوء وسكينة، غير مبالين بما يسببه الأولاد من فوضى وضجيج.

الفصل الثالث

استمر "خالد" في الطريق الذي خططه لنفسه، حصل على جميع التصاريح المطلوبة للسفر، حدد يوم المغادرة، قرر أن يسافر أولاً ثم يقوم بإبلاغ "دينا" بأن العمل بفرع الشركة بنيويورك يستوجب وجوده، وأن عليها أن تختار إما الالتحاق به والعمل معه، أو البقاء في مصر، أو ما تراه مناسباً لها فلن يجبرها على شئ.

تمر الأيام تباعاً معلنة اقتراب موعد الرحيل، يحلم "خالد" بالمنصب المنتظر، وهو رئاسة فرع الشركة، يضع الخطط والأهداف، يرسم طريق النجاح الذي طالما كان يحلم به، غير مبالٍ بالمستجدات، و لا بذلك القيروس الجديد الذي ظهر في الصين، متجاهلاً ما يستقبله من تحذيرات عبر بريده الإلكتروني، مستبعداً تأثير هذا القيروس على سير الأمور، فالأمر كله لا يخصه، إنه مسافر إلى أمريكا العظمى، دولة التقدم والرقي، التي تنقذ العالم دائماً، حتى لو تعرض للغزو الفضائي، فهكذا تصور لنا أفلام هوليوود. ... ولكن**!**

" ما كل ما يتمني المرء يدركه

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن"

هكذا وصف المتنبي كيف يسير المرء في اتجاه معاكس لأقداره، قد يظن أن الأيام تعانده، لكن هي تختار له ما عجز عقله أن يستوعب أن فيه نجاته.

بدأ المرض في الانتشار على نطاق واسع في عدة دول، تسرب القلق إلى قلب "خالد" خاصة عند تفشي الوباء في أنحاء أوروبا وتزايد عدد الحالات بأمريكا حتى وصلت إلى نيويورك وجهته التي ينوي السفر إليها، وقد زاد قلقه عندما دعا مجلس إدارة الشركة لعقد جلسة طارئة لبحث المستجدات المترتبة على هذه الجائحة وتأثيرها على سير العمل بالداخل والخارج.

تطورت الأحداث بشكل سريع غير متوقع، إيطاليا وإسبانيا اتجهتا إلى الإغلاق الكامل، استقبل "خالد" عبر الإيميل رسالة من شركة الطيران تبلغه بإلغاء الرحلة المقررة إلى نيويورك، وكذلك جميع الرحلات، نظراً للقرار الذي اتخذته السلطات المصرية بإغلاق مطار القاهرة الدولي في التاسع عشر من مارس عام ألفين وعشرين، مما يعد إعلاناً صريحاً عن اتخاذ أقصى الإجراءات الاحترازية لاحتواء الأزمة، على

الرغم من الثمن الفادح الذي سوف تتكبده البلاد جراء هذا القرار.

الفصل الرابع

وكأن قطار الحياة الذي يسير في طريقه بشكل طبيعي فوجئ بقطار آخر يسير أمامه في الطريق المعاكس، فلم يجد السائق أمامه اختياراً سوى كبح مقبض (الفرامل) حتى يقلل من حدة التصادم، ربما ينجو بعض ركاب الرحلة.

وقف الإنسان الذي وصل إلى الفضاء، واغتر بعلمه ونفوذه عاجزاً أمام فيروس لا يُرى بالعين المجردة، وإنما يختار هو من يروق له، يعرف جيداً كيف يفتك به في أيام معدودة، كأنه شبح يحوم حولنا في كل مكان، يجعلنا نتلفت بحثاً عنه دون جدوى، وهو يشاهدنا ويضحك ساخراً بأعلى صوته، ثم ينقض علينا كالأسد الذي يعرف كيف يغرس أسنانه في عنق الفريسة ليمنع عنها الأكسچين، ويسلمها إلى مصيرها المحتوم.

إنها إرادة الله التي تعلو فوق الجميع، حتى تعرف البشرية حجمها الطبيعي، ويعلم الظالم أنه لا يظلم إلا نفسه، إنها محنة عظمي يتعرض لها العالم أجمع في آن واحد، ربما يفيق الغافلون من غفلتهم، ويندم القانطون على نعم لم يعوها من قبل.

خلت الشوارع والطرقات من المارة خلال ساعات الحظر، أغلقت المدارس والجامعات أبوابها، تعطلت المصالح الحكومية، توقفت القطارات والمطارات إلى أجل غير مسمى، غاب الموظفون عن مكاتبهم، أصبحت الاجتماعات تعقد عبر تطبيق زووم ليبحث خلالها المدراء عن وسيلة لتقليص المصروفات وتقليل الرواتب، غُلقت المساجد والكنائس، تغيرت صيغة الآذان وأصبحت صلوا في بيوتكم بدلاً من حي على الصلاة.

لم تعد وسائل الإعلام تنشر إلا إحصائيات لأعداد الضحايا وصوراً مؤسفة لبلاد خلت من سكانها، فضلاً عن عناوين إخبارية صادمة عن نقص المواد الغذائية، الأدوية، لبن الأطفال، الكمامات، أسطوانات الأكسچين وغيرها من الاحتياجات الأساسية.

أصبح الناس يتساقطون أمام المستشفيات التي تجاوز عدد قاطنيها الطاقة الاستيعابية لها، كل هذا في بلاد كنا نعتقد أنها كواكب أخرى تختلف عن كوكبنا، الأمر الذي تعدى مرحلة الجائحة إلى مرحلة أخرى أقرب إلى الكارثة.

وقف "خالد" عاجزاً عن تصديق ما يحدث من حوله، أصابه الذهول، الحياة تتوقف يوماً تلو الآخر، الحظر الجزئي يخيم على البلاد، حالات الإصابة في ازدياد، المرض يحصد الأرواح ولا يرحم صغيراً ولا كبيراً، الغني والفقير، وسائل الإعلام لم تعد تتحدث إلا عن الأرقام المتزايدة في كل الدول، الولايات المتحدة تتصدر العالم في عدد الإصابات والوفيات، نيويورك تتحول إلى بؤرة للوباء، الأمر أصبح أشبه بالطوفان الذي يجرف كل شيء في طريقه، اختلت الموازين، وأصيب العالم أجمع بالشلل والعجز التام، وتجرع خسائر فادحة بشرية ومادية.

لم يجد "خالد" أمامه ملاذاً آمناً غير منزله، المنزل الذي كان يخطط أن يهجره بحثاً عن مستقبل زاهر في بلاد اتشحت بالسواد وانتشرت رائحة الموت في أرجائها، ربما لو كان وضع قدمه هناك لأصبح عالقاً، محاصراً لا يستطيع أن يحصل على احتياجاته الأساسية، أو ربما كان أصيب، ولقي مصرعه وأصبح رقماً في كشوف الضحايا.

كيف يحدث كل هذا، وتتبدل الأمور بهذه السرعة؟!، وهل ستعود الحياة إلى طبيعتها يوما ما؟! كيف ومتى؟! أسئلة كثيرة ألحت علي "خالد"، الذي لا يزال

غير مستوعب لما يدور من حوله، إنها المرة الأولى التي يعانده فيها القدر، وتضطره الظروف إلى الانصياع إليها.

الفصل الخامس

لم يعتد "خالد" المكوث بالمنزل لفترات طويلة، بل كان يعود إلى البيت متأخراً كل يوم خاصة في الفترة الأخيرة، لكونه كان يعد العدة للسفر، بينما كانت "دينا" تتحرك خارج مكتبها بالشركة في تمام الساعة الرابعة لتتابع "زينة" و"سيف" وتصطحب كلا منهما إلى وجهته، ثم تعود بهما إلى البيت، لتلتقي الأسرة لفترة وجيزة، قبيل خلود الأولاد إلى النوم

اعتادت "دينا" أن تتناول الأچندة الخضراء التي تُعد كتابة سطورها بمثابة استرخاء تمارسه لتنعم بنوم هادئ، كأنها تتحدث إليها عن حياتها اليومية، فهي التي تحن عليها، تعذرها وتقدر دوافعها دون هجوم أو إصدار أحكام.

مكث الجميع مكوثاً اضطرارياً بالمنزل الذي تحول إلى قاعة محاضرات لزينة، فصل دراسي لـ "سيف"، مكتب لكل من "خالد" و"دينا" صباحاً، أما عصراً فهو مركز فني للتدريب على البيانو، وملعب لتدريب تنس الطاولة (البنج بونج) من خلال الاستعانة بألواح الصد المعدة لغرض التدريب على تلك اللعبة.

لم تكن الزوجة مرفهة كما كان "خالد" يظن، بل كانت لا تتوانى عن بذل كل ما تستطيع من جهد كي ترعى أبناءها وتحثهم على الاستيقاظ ومتابعة الدروس عبر الإنترنت، تعد لهم الطعام بعد توقف السيدة التي كانت تساعدها عن الحضور نظراً لظروف الجائحة، فضلاً عن مجهود تنظيف البيت الكبير حتى لا يشعر قاطنوه باي اختلاف، كما أنها تعرف كل كبيرة وصغيرة عن أبنائها مما جعلهم يرجعون إليها دائماً طلبا للمشورة.

اختلطت مشاعر "خالد" ما بين الإعجاب بـ"دينا" الام والغيرة من كونها تفوقت عليه وتسللت إلى قلب وعقل أولادها

"خالد" الذي كان الجميع يغارون منه أصبح يغار من علاقة أبنائه بأمهم، فضلاً عن تنمره وثورته على أتفه الأسباب، حتى بدأ الجميع تجنبه ليصبح غريباً في بيته.

ازداد شعور "خالد" بالضجر، الأمر أصبح خانقا، لكنه مضطر إلى أن يبقى بالمنزل، فهو الملاذ الآمن للجميع، لكن إلى متي سيظل هذا الكابوس؟!.

العلم عند الله، لا أحد يعلم.

في الماضي لم يكن يكترث لما يدور داخل البيت من أحداث مما كان يعد شيئاً محزنا لـ"دينا"، أما الآن فهو يتدخل في كل كبيرة وصغيرة، كأنه يريد أن يقول لهم أنا موجود ولن أسمح لأحد أن يتجاهل وجودي، الأمر الذي أصبح مزعجا للجميع.

"سيف" الابن الأصغر الذي يبلغ من العمر عشر سنوات، طفل ذكي، ودود، محبوب بين أصدقائه، يجيد العزف على البيانو، يشارك في الحفلات المدرسية، هكذا كان إلى عهد قريب، إلا أنه تعرض لصدمة نفسية عنيفة منذ عام، إذ فقد أعز أصدقائه بالمدرسة، جراء وقوع حادث مروع له ولأسرته، ليبدأ الطفل مرحلة من المعاناة النفسية وصفها الأطباء بحالة اضطراب ما بعد الصدمة.

ظل "خالد" متوهماً أن حالة "سيف" بسيطة لا تستدعي قلق "دينا" التي دائما تهول الأمور بلا داعٍ، حتى تلقى استدعاءً عاجلاً من إدارة المدرسة التي كانت تلاحظ ما طرأ على "سيف" من تغيير مخيف بعد فقد صديقه، فقد أصبح لا يستطيع التركيز مما أثر على مستواه الدراسي، كما أنه اعتذر عن المشاركة في حفلات المدرسة وعن مسابقة عزف البيانو التي كان يتصدرها بجدارة ويحصد خلالها الجوائز، إلى

جانب ميله للعزلة، وحالة الانزواء المزمنة التي أصبحت مسيطرة عليه ، أما "زينة" الابنة الكبرى صاحبة الثامنة عشرة عاماً، فقد ورثت الملامح الجميلة عن أمها، شخصيتها قوية، ثقتها في نفسها زائدة كونها متفوقة دراسياً ورياضياً، تم اختيارها ضمن تشكيل المنتخب القومي للعبة تنس الطاولة، تستعد للالتحاق بالجامعة بعد إتمام مرحلة الدراسة المدرسية.

الفصل السادس

لم تكن الأيام سلسة ليصل الأولاد إلى هذه المرحلة، بل كانت مليئة بجهد كبير مبذول، ف "سيف" وزينة كانتا يحتاجان إلى تدريب يومي، فضلا عن الحروب التي كانت تواجه "دينا" ليحصل أولادها على حقوقهم كلا في مجاله

بينما ظل "خالد" طوال السنوات الطويلة الماضية يرى أن "دينا" سيدة مدللة لديها كل المقومات ما يجعلها أسعد سيدة، والاهم انها زوجة رجل مرموق، يوقره الكبير قبل الصغير، تتمناه السيدات وتحسدها لكونها الفائزة به، مما كان يستوجب عليها أن تكون سعيدة تصلي ليل نهار شكرا وعرفانا

استيقظت "دينا" مبكرا وخرجت كعادتها اليومية للاطمئنان على زوجة أبيها طنط "نهاد"، ثم اتجهت إلى منزل والدة زوجها الحاجة "فاطمة" ، ثم عادت إلى المنزل تجر ورائها شنطة سفر حديثة كان "خالد" قد اشتراها لوالدته لتستخدمها في السفر معهم إلى حيث الشاليه الخاص بهم بالعين السخنة كما وعدها، ومن خلفها الحاجة "فاطمة" متكئة على عصاها

نظر "خالد" مندهشا إلى حقيبة السفر التي يتذكرها جيدا، ثم رسم على وجهه ابتسامة مصطنعة عندما رأى والدته، وكذلك فعلت "زينة"، أما "سيف" فأقبل علي الجدة مسرعا يقبلها، وأخذ بيدها إلى غرفته ليقوم بضبط الاعدادات الخاصة بهاتفها المحمول الذي اعتادت أن تعبث به ثم تطلب المساعدة

اتجهت "دينا" بالحقيبة إلى الغرفة الإضافية بالدور الارضي المعدة لإقامة الضيوف وإذا ب"خالد" يدخل خلفها غاضبا، يغلق الباب خلفه ويصيح

- هل أصبحت آخر من يعلم؟ أم أنك تنتهجين سياسة الأمر الواقع؟!

- أنا لا أفهم ما تعنيه.. إنها والدتك التي لا تجد من يرعاها بعد انقطاع السيدة التي كانت تعمل لديها نظرا لإصابة أحد افراد اسرتها بكورونا

- ولماذا لم تنتظري حتى تخبرني بالأمر؟

- لم يكن الأمر يحتمل الانتظار، كنت أمر عليها في طريق عودتي لأتفقد حالها، فوجدتها بمفردها وقد فرغ رصيد الدواء الخاص بها وهي لا تدري، فهممت بإحضارها معي حتى لا تتراجع حالتها الصحية.

- أنت دائما تتعمدين مفاجأتي.

ابتسمت "دينا" ابتسامة خفيفة، تخفي وراءها معاني عميقة فاستشاط "خالد" غضباً، ولم يجد ما يضيفه، وعاد مرة أخرى للجلوس على كرسيه المفضل، لكنه لم يستطيع المكوث عليه طويلاً، فأخذ هاتفه المحمول وخرج من المنزل لا يعلم إلى أين يذهب، لم تعد هناك أماكن عامة يُسمح فيها بالجلوس، فدخل سيارته ثم شاهد مجموعة من الجيران يمشون معاً للتريض، وقد أشار له أحدهم أن يشاركهم علي الرغم من أنه لم يعتد مرافقة الجيران، أو مشاركتهم الأنشطة من قبل، ولكن هذه المرة لم يكن هناك أمامه اختيار آخر، فهو لا يطيق البقاء داخل البيت.

بدأ الرفاق يرحبون ب"خالد"، وأخذوا يتحدثون معاً عن الأحداث التي يمر بها العالم، يتذكرون الأحوال منذ شهور قليلة مضت، يحكون عن مخاوفهم متمنين زوال الخطر وظهور اللقاحات في أقرب وقت.

اقترح أحدهم أن يحددوا موعد يومي ثابت للمشي حتى لا يزداد وزنهم ويصابوا بالاكتئاب، واقترح آخر أن يجتمعوا في الحديقة عصراً يحتسون الشاي كي يتعرف أولادهم وبناتهم.

أبدي "خالد" تزكيته للفكرة وسط دهشة البعض ممن يعرفونه عن قرب، فهو شخص متحفظ بطبعة، إلا أنه واجه صعوبة في الإجابة عن بعض الأسئلة التي تخص أولاده الذين لا يعرف عنهم إلا القليل.

أنهى الرجال مسافة السير التي حددوها لأنفسهم، وهي تعادل مدة ساعة تقريباً، ثم اتجهوا جميعاً إلى السوبر ماركت الخاص بالكمبوند لشراء بعض الطلبات التي حددتها الزوجات قبل موعد الإغلاق، نظراً لظروف الحظر.

دخل "خالد" معهم مكرها، فهو لا يعرف أماكن البضائع، إنها المرة الأولى التي يدخل فيها لشراء مستلزمات للمنزل، فضلا عن عدم درايته بما هو مطلوب.

عاد الجميع إلى ديارهم حاملين معهم مواد غذائية، بينما كان "خالد" يحمل زجاجات عصير، علب بطاطس "برنجلز"، وبعض أنواع الشوكولاتة المستوردة.

الفصل السابع

دخل "خالد" حاملا أكياس السوبر ماركت، وسط دهشة الجميع، ونظرات ضاحكة متبادلة بين "زينة" و "سيف" و"دينا"، حيث وضعها أمامه وبدأ يتناول منها ما يطيب له في مشهد فكاهي، أخرج الجميع من حالة الترقب والتوتر إلى حالة من الضحك الذي بدأ بزينة و "سيف" ثم امتد إلى "دينا"، حتى وجد "خالد" نفسه غارقاً في الضحك دون أن يشعر، إلى أن قطع ضحكاتهم صوت الحاجة "فاطمة" التي تتحدث إلى نفسها غاضبة من تليفونها المحمول الذي لا تكف عن العبث به بعد أن أصلحه "سيف"، لتعود الضحكات مرة أخرى تتعالى بصوت مرتفع أكثر فأكثر، لتضيء قلوباً قد أظلمت عندما اعتادت الوجوه على التجهم.

إنها أجواء أسرية دافئة شعر بها "خالد" لأول مرة منذ زمن طويل، ذكَّره هذا المشهد بأيام صباه، وكأن الموقف يُعاد أمام عينيه من جديد، يتغامز عليه أولاده بتحفظ كما كان يفعل هو وإخوته مع والدهم وقتما كان يصيح في المنزل إذا ارتفع صوت شجارهم خلال فترة القيلولة، وما الدنيا إلا أيام متشابهة، تودع أجيالا وتستقبل أجيالا أخرى، فنجد أنفسنا نلعب أدواراً كنا

نتهكم على أبطالها من قبل، دون أن نعلم أننا سنحل محلهم يوماً ما.

مر اليوم سريعا على غير العادة، حتى أتى وقت النوم، وقد أخذت "دينا" بأچندتها وقلمها، فتعجب "خالد" وأخذ يسأل نفسه: ما الذي تكتبه "دينا" بكل هذا الاهتمام؟! إن العمل متوقف تماماً، فما الذي يدفعها إذاً إلى الكتابة؟! لابد أنه شيء آخر غير العمل.

ولماذا هي حريصة على تلك الأچندة إلى هذا الحد؟! فهو لا يراها إلا في يدها ثم تختفي بعد ذلك عن نظره. أشرقت شمس يوم جديد، ليستيقظ "خالد" على رائحة الزلابية التي كان يحبها في صغره، إنها من صنع والدته، التي تبدلت حالتها بين عشية وضحاها حتى شعرت بقوة بداخلها جعلتها تدخل إلى المطبخ لتساعد "دينا" في اعداد الافطار، فترجّل باحثاً عن مصدر تلك الرائحة، غير مصدق مشاعر الحنين التي استعادها لأيام قد مضت وعمر انقضى ولن يعود، إنما تبقى منه والدته التي تحاول أن تتغلب على كِبر سنها وتصنع الحلوى المحببة إلى أقرب أبنائها إلى قلبها.

دخل "خالد" إلى المطبخ حيث تقف والدته، وما كان منه إلا أنه قبّل رأسها ويديها واحتضنها في حنان لم تعهده منه منذ زمن طويل.

فرحت "دينا" برد فعل زوجها، وشردت قليلا تفكر، "لماذا أصبحنا نتصور أن الحنان ضعف يفقدنا هيبتنا؟! أم أن زحمة الحياة هي ما حولتنا إلى أناس بلا عاطفه؟! وما العاطفة إلا الشريان الذي يمدنا بالقوة ويهون علينا متاعب الدنيا وأعبائها.

إنها ملامح التغيير التي بدت على "خالد"، الذي بدأت مشاعره تتبدل شيئاً فشيئاً، إنه شعور خفي بالسعادة يحاول أن يقاومه ولا يعترف به، ربما لكونه لا يريد أن يتجرع إحساس الندم على الجُرم الذي كان ينوي أن يقترفه تجاه نفسه وتجاه أسرته!

أصبح "خالد" يألف روتين يومه الجديد الذي يستهله بالإفطار مع العائلة، ثم إتمام بعض مهام العمل الذي يعشقه ويبدع فيه دائماً، ثم الخروج لمشاركة مجموعة الجيران التي اعتادت المشي، والعودة بعد ذلك إلى كرسيه المفضل، بينما تقضي "دينا" وقتها في متابعة أبنائها وترتيب البيت والخروج يوميا لإحضار متطلبات المنزل، والمرور على زوجة أبيها لقضاء

احتياجاتها، أما الحاجة "فاطمة" فهي مستأنسة بالعيش مع عائلة ابنها، وقد تبدلت حالتها الصحية والنفسية واستعادت مهارات الطهي التي طالما اشتهرت به، إلى أن يجتمع الجميع لتناول الوجبة الأساسية لهم قبل الخلود إلى النوم

استيقظ "خالد" في اليوم التالي على صوت والدته المرتفع وهي تتعلم من "سيف" كيفية الدخول على صفحتها التي أعدها لها على فيسبوك، بناء على طلبها، متعجباً من صبر ابنه على أسئلة الجدة التي لا تنتهي.

خرج إليهما وقد اندهش لخروج "دينا" مبكراً، مما دفعه إلى الاتصال بها ليعرف أنها تلقت اتصالاً من طنط "نهاد" لشعورها بألم شديد بالجسم وارتفاع في درجة الحرارة، مما اضطرها للذهاب إليها منذ الصباح الباكر، مصطحبة معها دكتور العائلة الذي استدعى مندوباً من معمل التحاليل لعمل مسحة للسيدة. تغير وجه "خالد" بعد مكالمة "دينا" وتسرب القلق إلى قلبه، وأخذ يفكر، ماذا لو أن السيدة أصيبت بكورونا؟ هل هناك خطر على "دينا"؟

كما أنه تحير من موقف "دينا" التي لم تفكر في الأمر وهرولت إلى زوجة أبيها معرضة نفسها للخطر، وسأل نفسه: كيف أقدمت على الذهاب إليها وهي تحتفظ تجاهها بمشاعر سلبية؟! والأمر الأهم، أين "نادين" من تلك الأحداث؟ ولماذا تتحمل "دينا" كل تلك الأعباء وحدها؟!

خرج "خالد" ليلتقي بمجموعة من الجيران في "الكلاب هوس"، النادي الاجتماعي الخاص بالكمبوند، وقد كان أحدهم يتحدث عن المشقة التي يواجهها كي يطمئن على والدته التي تسكن بمفردها بمنطقة العجوزة، شرد "خالد" قليلا فيما فعلته "دينا" من تلقاء نفسها مع والدته، ليقطع شروده حديث أحد الجيران الذي يقترح على الرجل أن يستضيف والدته في منزله، إلا أن الرجل أفاد بأن ظروفه لا تسمح بذلك، مما بات واضحاً للجميع أن للزوجة دور هام في عدم إتاحة هذا الحل.

يعود "خالد" إلى منزله بعد يوم قضاه مع جيرانه، ليجد والدته تتحدث هاتفياً إلى "دينا" التي أخبرتها بأن نتيجة المسحة الخاصة بزوجة أبيها إيجابية، وأن عليها أن تظل معها لرعايتها، كما أنها طلبت منها أن تتابع

أمور المنزل والأولاد لكونها ستغيب عن البيت فترة ليست بالقليلة.

كان "خالد" يتابع الحديث وقد شعر بالضيق لكونها لم تهاتفه ولم تسأل عنه، وإنما تكترث بأمور أولادها فقط، دخل غرفته غاضباً يبحث عن شاحن اللاب توب هنا وهناك، وعندما يأس من البحث دون جدوى، فتح حقيبة "دينا"، التي تضم أوراق العمل، باحثاً عن الشاحن الخاص بها لاستعارته، فوقعت عيناه على الأچندة الخضراء الخاصة بها.

تجمد مكانه للحظات نسي خلالها ما كان يبحث عنه والتقط الأچندة وأغلق باب غرفته.

الفصل الثامن

"زوجي الحبيب...

أحببتك حتى بلغ الحب منتهاه، وسئمتك حتى طفح الكيل مني.

أعلم أن عينيك لن تقعا على تلك السطور أبدا، فهكذا أنت، لا ترى أو تسمع ما لا تريده، حتى إذا كان على مرأى ومسمع منك، تتغافل عنه أو ربما تنكره وتؤوله حتى يتبدل ويتشكل في الصورة التي تريدها أنت، تصدقه، فيتحول الكذب إلى صدق في عقلك أنت، فتلتفت إليّ متسلحاً بدروعك وبراهينك وتلك الأكاذيب التي لفقتها بيدك أنت، تبدأ الهجوم الضاري عليّ، فأقاوم لتزيد أنت من حصارك حتى تخور قواي، وأنهار نفسياً، وربما أصدق أنني المجرمة المعتدية، ولا أجد النجاة في الكلمات التي تخلت عني، لأكون كمن يتعرض للهجوم فيسحب مسدسه ليضرب طلقة تنقذ حياته، لكنها لا تنطلق، فلا أجد أمامي سبيلا إلا أن أتخلى عن قضيتي المرفوعة أمام ديوانك الظالم لأنأى بنفسي الجريحة عن الأذى، وهكذا تضيع الحقوق وتكمم الأفواه وتقيد الأيدي عبر السنين.

نسيت يا حبيب العمر أن المنتصر على المظلوم هو الخاسر، وأن المنهزم الذي صمد ولم يسقط أرضاً، لن يتوانى عن الاستقواء للدفاع عن نفسه، التي تقوى مع كل صدمة يتخطاها، فاحذر ثورة البركان الكامن، وتذكر جيداً أن الظلم لابد وأن يكون له آخر".

تلك السطور التي سطرتها "دينا" بخطها المميز الواضح داخل الأچندة ذات الغلاف الأخضر التي لا تفارقها، حيث تكتب فيها خواطرها في صمت قبل أن تنام، ثم تضعها داخل الحقيبة السوداء إلى جانب "اللاب توب" الخاص بها، كي تظل في مأمن حتى تشتد عليها الأحداث فتعود إليها مرة أخرى، تشكو لها أوجاعها، كذلك هي عادتها منذ زمن طويل، لم تكن تلك الأچندة منوطة بكتابة خطة العمل لليوم التالي أو ما شابه كما كان "خالد" يظن، بل كانت مرآة لما يدور بداخلها، تلك هي المفاجأة التي عرفها "خالد" مؤخراً، ليعرف من خلالها الكثير مما كان يتجاهله، ويظل هنا السؤال: هل المعرفة أفضل أم الجهل؟

زلزلت تلك الكلمات كيان "خالد" وأصابته في مقتل، لم يكن مصدقاً أنه هو من تتحدث عنه تلك العبارات، وكأنه يقرأ عن معاناة زوجة لا يعرف زوجها، إنه الإنكار الذي اعتاده دوماً، إنما تلك المرة لا يستطيع أن

يعد العدة ويبدأ الهجوم ضد الشاكي، فهو الذي اختلس الاطلاع على الخواطر دون موافقة كاتبها، كأن الله رد للمظلوم الذي استنجد به حقه دون أن يبذل جهداً.

"دينا"، زوجة في بداية العقد الخامس، جميلة الملامح، متزنة، كتومة، إنه الجانب الذي يظهر عنها للجميع ليعكس جزءاً بسيطاً عن شخصيتها التي لا يعرفها أحد، وبالأخص زوجها الذي كانت تتمنى أن يعرف عنها ما لا يعرفه الآخرون، فهي لا تكترث لسواه، ولا يهمها أن يعرفها ويشعر بها إلا هو.

غير أن تلك الشخصية الكتومة تخفي وراءها العديد من المشاعر الجياشة والأحاسيس المرهفة التي تحتاج إلى الاستيعاب والاحتواء.

أما "خالد"، فهو يكبرها بخمس سنوات، شخصية جادة، مسيطرة، جذابة، يهتم بمظهره إلى أبعد حد، يحب أن تلتفت إليه الأنظار دائماً، لا يعترف بأخطائه أبدا، متحجر المشاعر، أهلته تلك الصفات للوصول إلى المراكز العليا، تعرف على زوجته من خلال العمل، كان والدها من كبار المديرين حين ذاك، مما سهل عليها الانضمام إلى فريق العمل بمجرد إتمامها الدراسة الجامعية.

بذل "خالد" كل ما يستطيع من جهد، استخدم العديد من الحيل للتقرب إلى "دينا" حتى أصبحت زوجة له وأماً لأولاده.

طرق "سيف" باب غرفة أبيه ليدعوه إلى العشاء الذي أعدته الجدة، فاضطر إلى إخفاء الأچندة أسفل وسادته، ظل "خالد" شارداً خلال فترة العشاء، لا تمتد يده إلى الطعام، حتى شعرت به والدته وطمأنته، ظناً منها أنه قد يكون قلقاً على زوجته، لكنه كان يفكر، هل يستطيع أن يعيد المذكرات إلى مكانها ويتناسى الأمر، أم أنه لا يزال هناك العديد من المفاجآت التي لا يعرفها؟ وما الذي سوف يجده إذا استكمل القراءة؟ مشاعر متضاربة تدور في عقله، الفضول يدفعه والقلق يمنعه، حتى عاد إلى غرفته وقد غلب عليه الفضول وأخذ بالاچندة مرة أخرى.

الفصل التاسع

أوشك هذا الزواج على أن يتم عامه العشرين، فقد تسللت السنون كحبات الرمل من بين أيدينا دون أن ندركها، تاركة علامات تخفي تحتها جروحاً قديمة لا تنضب أبدا، نزيف مستمر تصنعه خيبات الأمل جراء المواقف المؤلمة من أقرب الناس إلينا، من كنا نظن أنهم السند.

تمر الأيام وتختلط بداخلنا المشاعر، الحب والفتور، الاهتمام والإهمال، العشرة والتنافر، الصبر والملل، الأمل واليأس، الصمت والثورة، رحلة تضم نجاحات وإخفاقات تفاجئنا بها الدنيا، نتحملها بقوة وجَلد، ننهار أمام قسوة الأوجاع، نتشبث بالحياة ليس حباً فيها وإنما حرصاً منا على مخلوقات رقيقة ليس لها ذنب إلا كونها قطعة من قلوبنا تمشي على الأرض، نكون نحن المنهكون، مصدر الأمان لهم.

معانٍ عميقة تخطها "دينا" في تلك الأچندة، قرأها "خالد" بشغف، فهي المرة الأولى التي يكتشف فيها زوجته من خلال تلك السطور.

"خالد" .. لستُ منزهة وكذلك أنت، بل أنا إنسان يصيب

ويخفق، لكن ما أعرفه جيداً أنني لست أتعمد ما تسميه أنت الخطأ، وما أعتبره أنا اختلاف وجهات نظر، هذا هو الفرق بيننا، فأنا أنظر إلى سهواتك بنظرة الحلم وألتمس لك الأعذار، أتغاضى، أتغافل، وأنا لست مغفلة، وعندما يخونك التعبير لا يخونني الفهم، بل أصلح نواياي كلما أفسدتها أنت بمفرداتك التي تصوبها إليّ.

لم أعد أحكي لك ما أقابله من مشاكل بشكل يومي، هل تعلم لماذا؟ لأني أتحمل فقط عبء تلك المشاكل، أما إذا بُحت بها لك فسوف أعاني من وجع اللوم الذي سوف تضعه على عاتقي، وليتني أعرف السبب!

ربما تريد أن ترفع يدك عني دون أن تشعر بالذنب لكونك تخليت عن مساندتي، فكم من المواقف انتظرت خلالها الدعم ولم أجده!

حضرنا سويا اجتماعاً مع مديرة مدرسة "سيف"، وعندما توجهت لي الأنظار تتهمني بعدم الالتفاف إلى صحة ابني النفسية، انتظرت منك الإنصاف ولو بكلمة، كانت سوف تعني لي الكثير، الا أنك لم تفعل، وعندما توليت أنا الدفاع عن نفسي ما كان منك إلا توجيه اللوم لي على أسلوبي الذي لا أذكر أنني

تجاوزت فيه حدودي، إنما حولتني من معتدَى عليها إلى معتدية، لا أستطيع أن أتحكم في مشاعري وقت الغضب، فأنا لم أغضب لكوني سريعة الغضب، أنت تعلم جيدا أنني لست كذلك، وإنما كان غضبي نابعاً من إحساسي بالظلم، فطالما حدثتك عن حالة "سيف" وعن احتياجه للعلاج النفسي، إلا أنك لم تُعر الأمر اهتماماً، حتى أنني ظننت أنك لا تسمعني، نعم أنت تسمع بأذنيك، وقلبك أصم.

بادرت بخطوات جادة نحو العلاج، لكنني لم أستطع أن أذكرها أمامك لأنك سبق وأن رفضتها، معللا الأمر بأنه قلق لا داعي له وأن العلاج قد يزيد الأمر تعقيداً. هل تتذكر حفلة تخرج "زينة" من المدرسة، كنت أنتظر منك الإحساس بالدور الذي قمت به معها، فقد تقدمت بإجازة بدون راتب لعدة شهور كي أستطيع أن أرافقها بنفسي لحضور دروسها، وتمارين تنس الطاولة اليومية، حتى لا يتراجع مستواها وتظل محتفظة بمكانها بالمنتخب الوطني للعبة.

إن تفوقها الدراسي والرياضي بمثابة شهادة تقدير لي، عوضني عن فقدان الترقية التي كنت أستحقها وكانت من نصيب "شاهيندة" التي لم تضطرها الظروف للاختفاء عن ساحة العمل مثلي، إلا أنك لم تراع

شعوري وبالغت في الحديث عنها وعن إنجازاتها وطريقة إدارتها، كأنك أردت أن تعاقبني، وتشعرني انها أفضل مني

"خالد"، إن "سيف" يمر بأزمة نفسية ليست بالبسيطة كما تظن، إنه يخشى الفقد، يخشى أن يفقد مَن يحب، كما فقد صديقه دون سابق إنذار، إن الحدث كان قاسياً عليه في هذه السن المبكرة، هذا ما ردده الطبيب المعالج الذي يتابع حالته دون علمك، حتى لا تهاجمني وتتهمني بالمبالغة، إنها عادتك، لم يكن كل ما يعانيه هو عدم التركيز والعزلة كما ذكرت المشرفة الاجتماعية فحسب، بل كان يعاني من كوابيس ليلية، وحالة من القلق العام.

أما "زينة" التي كانت تحلم بدخول الجامعة، وحضور المحاضرات، والالتقاء يوميا بالأصدقاء، لم تحرم من ذلك فحسب، بل حرمت من حلم الاشتراك في بطولة العالم نظراً لظروف الوباء الذي حال بينها وبين طموحها.

إنك لا تراهم ولا تشعر بأوجاعهم، فهي لا تعني لك شيئا، نعم قد تبدو مشاكل بسيطة، لكنها كبيرة مقارنة بتجاربهم وأعمارهم الصغيرة.

توقف "خالد" عند تلك النقطة، وقد خيم عليه الهم، التقط علبة السجائر الخاصة به وخرج إلى شرفة غرفته، لم يشعر ببرودة الجو ليلا، فقد غلبت عليها حرارة السطور التي قرأها، ظل "خالد" جالسا ينظر إلى السماء يلتقط سيجارة وراء الأخرى حتى أصابه العطاس من برودة الجو، فعاد إلى الداخل، خرج من غرفته يتفقد أحوال المنزل، يغلق ترباس الباب الرئيسي، يتفقد الأنوار ومحبس الغاز، إنها أمور لم يعتد عليها، بل كان يخلد إلى النوم دون أن يلتفت إلى شيء، وكانت تلك الأمور من واجبات "دينا" التي تنام بعد أن ينام الجميع وتكون أول من يستيقظ في الصباح.

فتح "خالد" باب غرفه "سيف" ليجده نائماً في سريرة محتضناً جدته التي غفت عيناها من التعب، فأيقظها كي تنام في غرفتها، إلا أنها أفادت أنها ستقضي ليلتها بجانب حفيدها الذي طلب منها ألا تتركه لما يعانيه من أحلام مزعجة.

تذكر "خالد" سطور "دينا" التي لم تكن تبالغ، فطلب من والدته أن تعود إلى فراشها، على أن يحل هو محلها، إنها مشاعر الأبوة التي تأخرت كثيراً، لم يشعر بها "خالد" إلا بعدما لمست كلمات "دينا" قلبه.

استيقظ "سيف" من نومه ليجد والده بجانبه، إنها المرة الأولى في حياته، ظن الطفل أنه أزعج والده الذي لا يجرؤ أحد على أن يطلب منه تغيير روتين حياته، فأخذ يبكي خوفاً من العقاب الذي سوف يلاقيه، فقد اعتقد أن والده حل محل الجدة ليعاقبه بنفسه في الصباح.

شعر به "خالد" فاستدار وضمه إليه وقبله، فما كان من الطفل إلا أنه أخذ يردد: "أنا آسف يا بابا آسف"، فأجابه "خالد": "لا تتأسف يا حبيبي إنك لم تفعل شيئا، بل أنا من يجب عليه الأسف"

لم يفهم الطفل رد أبيه، لكنه هدأ واستكان في حضن والده وراح في سبات عميق.

الفصل العاشر

تغيرت ملامح "خالد"، حتى أصبح دائم الشرود على غير عادته، لو نظرت إليه لشعرت بأنه شخص آخر، استيقظ مبكرا كعادته، تصفح بريده الإليكتروني وانضم إلى بعض الاجتماعات عبر الزووم، ولكن دون نشاطه المعتاد والشغف الذي كان يبدو عليه ويميزه عن باقي زملائه، بل بدا كأنه يؤدي واجباً ثقيلاً يريد أن يفرغ منه سريعاً.

لم يرغب تلك الليلة في الخروج للمشي، بل أراد أن يدخل غرفته ليستكمل اطلاعه على مذكرات "دينا"، مع إحساس خفي بالخوف والترقب لما سوف يقرأ.

توقف "خالد" قليلاً عند غرفة "زينة" عندما سمع نحيبها من الخارج، لم يكن يعرف ما الذي عليه أن يفعله، هل يهرع لالتقاط هاتفه؟ يبلغ "دينا"؟ وما عساها أن تفعل وهي خارج البيت؟

تردد قليلاً، ثم طرق الباب، ودخل غرفتها، حاولت إخفاء دموعها عن أبيها الذي لم تعتد عليه، حتى اقترب منها، ربت على كتفها وقال لها:

- أعرف أنك الآن لست بطفلة (احتضنها، فكفت عن البكاء)، بل أصبحتِ شابة جميلة، تفكر في مستقبلها،

وتقلق على أحلام قد حالت الظروف بينها وبين تحقيقها، ولكن ما أستطيع أن اقوله لك، إنك كنت وستظلين دائماً قوية، عودي إلى تمريناتك اليومية، فكم كنت أسعد وأشعر بالفخر عندما أراك تتمرنين، لا تجعلي اليأس يتملك منك، ستمر الأزمة وستعودين إلى الجامعة وإلى بطولاتك التي تنشدينها لا محالة.

ابتسمت "زينة" ونظرت إلى أبيها نظرة آلمته كثيراً، كأنها تقول: له هل تشعر بنا؟! هل لك مشاعر مثلنا؟! ولماذا إذاً تبخل بها علينا؟!

- إذا اردت أن تتحدثي إليَّ في أي وقت فستجدينني دوما بجانبك.

هكذا ختم "خالد" حديثه مع ابنته، ثم قَبل يدها ورأسها، وقد جفت دموعها من دهشتها مما سمعته من أبيها، العائد إلى أبوته بعد طول غياب.

دخل "خالد" غرفته، يريد أن يهاتف "دينا" يشكرها، فكلماتها فتحت عينيه على كثير مما كان يجهله رغم أنه كان يراه أمامه، إلا انه لا يستطيع أن يفعل.

فكر في أن يتصل للاطمئنان عليها، لكنه خشي أن تشعر بأي شيء، وربما يكون ما منعه شعوراً بالخجل

يؤلمه، فقد عبث بمتعلقاتها دون أن تسمح له بذلك، لكنه لم يعد يستطيع أن يتوقف عن القراءة.

"خالد"، اعتدت أن أمر على والدتك في محاولة مني لتعويضها عما تعانيه من تقصير أولادها، الذي ربما يكون غير متعمداً، لأجدها منهمكة في تصفح ألبوماتها ذات الأغلفة البالية، هذا الألبوم ذو المفتاح الذهبي "الزمبلك" الذي لا يزال يصدر صوت نغمات موسيقية عند التصفح، وتظل هي حريصة على ملئه كلما فرغ حتى يتجدد صوت النغمات، تتأمل صوراً بالأبيض والأسود مثبتة من أركانها الأربعة، تقف عند كل صورة تحكي عنها حكايات سمعتها كثيراً، لكني أتظاهر أني أسمعها للمرة الأولى حتى تستمتع هي بروايتها.

علي الرغم من أن تلك الصور لم تدخل عليها التحسينات كما هو شائع الآن، ولا يتم التقاطها أكثر من مرة لنختار أفضلها، إلا انها أجمل بكثير من تلك الصور التي نلتقطها من كاميرات هواتفنا الحديثة، لكونها صوراً حقيقية، أما ما نلتقطه اليوم فهي صور زائفة، نضحك فيها لنصدر عن أنفسنا سعادة لا وجود لها، ونغير ملامحنا من خلال التطبيقات حتى أصبحنا أشخاصاً لا نعرفهم.

مازالت تلك الألبومات هي كل ما بقي لها، تسترجع معها اللحظات السعيدة، وتعيش مع أحباب تنتظر أن تلحق بهم، وربما تتمنى ألا يتأخر اللقاء.

لم أبلغك يا "خالد" أنني سوف اصطحب والدتك إلى منزلنا، خشية أن ترفض وتقسو عليها وتفكر في إيداعها بدار لرعاية كبار السن كما ذكرت لي من قبل، فأنت لا تشعر بقيمة وجودها لأنها موجودة، أما أنا فأتجرع آلام الفقد لأمي الحبيبة، وما أقساه من شعور أشفق عليك من تجرعه!!

ليتك كنت حاضراً للحظة التي أبلغتها فيها بأنها سوف تنتقل للعيش معنا، أقسم لك إنها كانت لحظة لا تنسى، أبكتني فرحتها والنور الذي أشرق في وجهها الذابل، وكأن صحتها ردت إليها، وأهدتها الدنيا شباباً وانتقصت من عمرها سنيناً.

بدأت تجمع متعلقاتها البسيطة كالطفلة التي تجمع ألعابها المحببة، فوجدتها تبحث عن ألبوماتها باهتمام، بينما كنت أبحث أنا عن (الروشتات) الطبية والأدوية التي فرغت دون أن تنتبه هي إليها.

امتلأ وجه "خالد" بالدموع، ولم يستطيع استكمال القراءة، هرع إلى غرفة والدته ليجدها نائمة، فالوقت

متأخر، وكل أفراد البيت نائمون، جلس بجانب سريرها وأجهش في البكاء، حاول أن يكتم أنفاسه المتلاحقة وصوت نحيبه حتى لا تشعر به، وخرج مسرعاً عائداً إلى غرفته.

جلس "خالد" لأول مرة في حياته يواجه نفسه، بدأ ينظر لما خلّفه وراءه من فراغ نفسي وتوابعه، لم تكن تلك التوابع تخص أبناءه وزوجته ووالدته فقط، بل طالته هو أيضا، بدأ يشعر بأنه فقد الكثير طيلة السنوات الماضية، لم يستمتع بحياته الأسرية، إذ لم يكن معاصراً للكثير من الأحداث والقرارات الأحادية التي كانت على "دينا" أن تأخذها بمفردها وتتحمل نتائجها، فضلاً عن النقد اللاذع الذي اعتادته من جانبه، على الرغم من كونها أفضل الاختيارات المتاحة حينذاك.

هكذا هو الإنسان، تمر عليه الأيام السعيدة فلا يدركها، ويتركها تنفلت من بين يديه حتى يكتشف أنها مرت ولن تعود، كما لو كانت تلك الأيام إنساناً مرهف الحس تأثر من عدم التقدير، فمضى في طريقه معلناً عصيانه لما تعرض له من إهانه وتهميش، وقتها نشعر بقيمته ونتحسس أثره، ونبحث عنه، متوهمين إمكانية أن ندركه، لنجده أخذ طريق الذهاب بلا عودة، فنلومه

ونزجره، ونتهمه بالتخلي عنا ونحن المفرطون، حتى نيأس ونعاود الركض مرة أخرى بحثاً عن السعادة الزائفة كي نداوي جراحنا التي صنعناها بأيدينا ولكن دون جدوى.

الفصل الحادي عشر

مرت عدة أيام و"دينا" في منزل أبيها بمعادي السرايات، وقد آلت ملكية الشقة التي تربت فيها إلى "نهاد" بموجب عقد بيع ظهر بعد وفاة الأب، وهو منزل له ذكريات لا تنسى، قضت فيه "دينا" أجمل أيام حياتها إلى أن فقدت والدتها، وتساقط قاطنوه واحداً تلو الآخر كأوراق الشجر المزروع بالحديقة المحيطة بالمنزل المكون من طابقين.

كان الطابق الأرضي يضم الجد والجدة والعمة، بينما كانت تعيش "دينا" بالطابق الأول حياة هادئة، تنعم خلالها باهتمام أبويها، ودفء الأجداد، وحنان العمة الكبرى، التي انفصلت عن زوجها وتفرغت لتربية ابنها الوحيد.

تبدلت الأحوال، وحلت "نهاد" محل الأم التي غابت عن عالمنا، واختفت صورها، بينما ظلت ملامحها محفورة في ذاكرة "دينا"، فضلاً عن مواقفها وكلماتها التي تحرص "دينا" دائما على استرجاعها فهي كل ما تبقى لها عن أمها التي فقدتها في سن مبكرة.

أنجبت "نهاد" ابنتها الوحيدة "نادين"، الأخت الصغرى لـ "دينا" التي سافرت للدراسة في إحدى جامعات كندا، ثم قررت البقاء بها ولم تعد.

إنه قرار فردي، ترتب عليه زيادة الأعباء علي "دينا" التي تعودت تحمل المسؤوليات بمفردها، ليست مسؤولياتها فحسب، بل مسؤوليات الآخرين الذين تخلوا عنها بمحض إرادتهم، دون أدنى إحساس بالذنب، وكأن الامر لا يعنيهم.

قضت "دينا" ثلاثة أيام في رعاية "نهاد" التي تتبدل حالتها من آنٍ إلى آخر، تتابع درجة الحرارة التي ترتفع تارة وتنخفض الأخرى، تحرص على قياس الأكسجين والضغط كما طلب منها الطبيب الذي يمر عليها بصورة شبه يومية لمتابعة الحالة.

لم تعد "دينا" تنتظر التقدير من "خالد" أو من غيره، بل عرفت أن الانتظار ربما يدوم إلى الأبد، وأزاحت عن كاهلها لوعة التوقعات من الزوج الشارد في عالمه الخاص، مستكملة طريقها الذي اختارته، إلا أنها تعجبت من عدم اتصاله بها، لا تدري أهو غاضب من بقائها في بيت أبيها، أم أنه الاهمال الذي اعتادته منه.

إنه الواقع الذي تعيشه، والذي لم يعد يؤلمها، ربما

لكونه أصبح ألما مزمناً، لا أمل في الشفاء منه، ولا سبيل لها إلا أن تتقبله بصدر رحب، وتعيش معه جنباً إلى جنب.

التقطت هاتفها لتطمئن على أولادها، هاتفت "زينة" التي فاجأتها بما حدث بينها وبين أبيها وتشجيعه لها على أداء التمارين، التي كانت تتوقف عن ممارستها أثناء وجوده بالبيت، لما تحدثه تلك التمرينات من ضجيج لفترات طويلة، فضلاً عن نومه ليلا بجانب "سيف" والاهتمام بسماع عزفه على البيانو.

دُهشت "دينا" مما سمعته من ابنتها، فكم تمنت أن تشاهده عن قرب، إلا أنها سألت نفسها، لماذا إذاً لست أنا ضمن دائرة اهتماماته؟! إنه لم يتصل بي ليطمئن علي!

فكرت "دينا" في أن تتصل به، لكنها سألت نفسها، هل تعاتبه؟ أم تسأل عنه؟ أم ستفعل الاثنين معا؟ إنه حقاً شيء محير.

أما "خالد" الذي يمر بمرحلة عدم اتزان، فقد غلب عليه الفضول، فعاد إلى غرفته مجدداً، بعد أن كان يتجنب الجلوس فيها بمفرده، حتى لا تمتد يده إلى المذكرات، التي أصبح يخشى قراءتها.

"خالد" أشكو منك اليك، فأنت أقرب وأحب الناس إلى قلبي، تمنيت لو لم تكن أنت المشكو في حقه، إلا أنك لم تدع لي الخيار، فلولا سعة صدر السطور التي اسردها ما ظللت واقفة على قدميَّ، فأنا أفتقد دورك في حياتي، أفتقد رفيق الدرب الذي يستمع إلي، يطيب خاطري، يشير على، يقف بجانبي أمام الناس، يكبرني في العلن، ينصحني في السر إذا أخطأت، حتى لا يجرؤ أحد على إيذائي.

إنها فقط أمانيُّ، أضعها على الورق، تبدو سهلة المنال، مشروعة المطلب، إلا أنها مستحيلة التحقيق رغم بساطتها.

إنه تاريخ زواجنا، ذكرى هذا اليوم تمر على كل عام فأتذكر تفاصيلها، أسترجع لحظات السعادة الماضية وأنا أعيش تعاسة حاضرة، حتى قررت أن أحيي تلك الذكريات في خاطرك، فاشتريت لك هدية لأقدمها لك، وضعتها في خزانة ملابسك، وظللت أراقبك عن كثب، لكنك لم تلاحظها يوما تلو الاخر، حتي شاهدتك تفتحها وتقتبس من عبيرها النفاذ على سترتك القيمة التي ترتديها عندما يكون لديك اجتماع مهم، انتظرت أن تشكرني وتسألني عن المناسبة لنتذكر سويا ذكريات ليلة العمر، تخيلت أنك سوف تدعوني لعشاء فاخر

وتقدم لي هدية، لكنك لم تفعل، وإنما ظننت أن هديتي التي اشتريتها لك لأعبر بها عن حبي واهتمامي بك هدية قديمة من أحد العملاء، ألم تنتبه إلى أنه العطر نفسه الذي أهديتك إياه يوم زفافنا؟!

عجباً لك كل العجب! لا أعلم حقا هل فقدت التمييز أم أنك تحولت إلى رجل آلي؟! هل خانك البصر أم أنك فقدت البصيرة؟! هل تدرك حجم الوجع الذي آلمني وقتها؟! خاصة أنك كنت تتأنق وتضع العطر الذي اشتريته أنا لك ليضيف إليك الجاذبية التي تنشدها لنفسك قبل لقائها.

تصبب "خالد" عرقاً على الرغم من أن الجو لم يكن حارا، لم يستطيع أن يستكمل القراءة وانتفض من مكانه، أمسك بعلبة سجائره وخرج إلى الشرفة، يبحث عن هواء يستنشقه.

أخذ يتأمل دوائر الدخان المنبعث من السيجارة دون توقف، فيدور عقله مع دورانها ويميل ويتراقص معها يمينا ويساراً، وتتشتت أفكاره خلف تلك الدوائر، ثم تتلاشى باختفائها.

لم تعد قراءة المذكرات بالأمر الهين كما كان يظن، بل أصبحت تزداد تعقيداً وعمقاً كلما أبحر داخلها.

فكر لوهلة أن يتوقف قبل أن تسحبه دوامتها إلى أسفل ولا يستطيع النجاة، لكن السيف قد سبق العذل.

"خالد" أنا لست مريضة كما وصفتني، لم أكن يوماً متجنية على زوجة أبي، التي كنت أعتبرها بمثابة أمي التي فقدتها وأنا في عمر الزهور، بل إنني تألمت لكونها استغلتني وحاولت الوصول لقلب أبي ونجحت، وما إن انجبت أختي الصغرى، حتى أهملتني تماماً، فعدت أتجرع آلام اليتم بعدما أوهمت نفسي بأنها ستعوضني عن أمي.

أنت لا تعلم كم الأذى النفسي الذي عانيته من سوء معاملتها لي وأنا طفلة، كل ذنبي أنى ابنة السيدة التي أحبها والدي من كل قلبه.

نادتني يوماً لتقول لي: "لم أعد أعرف من منكما تناديني ، فمن اليوم ناديني أنتِ بـ "طنط" كي أميز بينكما".

هكذا حدثتني، ظننت أنى حقاً طفلة، ولم تع أن اليتم يضيف إلى عمر المرء عمراً، يومها أدركت أن دميتي التي أهدتها لي أمي قبل وفاتها أحن عليَّ من زوجة أبي، التي لم تكن تضربني أو تهينني، ولكني كنت

دائما أشعر بأني أذكرها بالمرأة التي يحبها أبي، ولو أنها ظلت بيننا، ما كانت ستتزوج به.

تعلقت بالدمية كأنها أمي، وعشت معها مشاعر جميلة، كنت أعود من المدرسة، أجلس بجانبها، نتحدث معاً، نلعب، نضحك، وأحيانا نبكي.

دخلت يوما إلى غرفتي ولم أجدها، بحثت عنها في كل مكان حتى وجدت "نادين" تعبث بها وتمزقها، حاولت أن أنقذها من يديها، صرخت استنجدت بأمها، التي عاقبتني بأن أخذتها مني ولم أرها إلى يومي هذا.

أما "نادين" أختي الصغرى، فقد أصرت طنط "نهاد" على أن تستكمل دراستها في كندا، واستطاعت إقناع أبي، الذي كان يعارض الفكرة بشدة لكونه يعلم أن ابنته ليست تلك الشخصية الجادة التي تستطيع أن تعيش وسط المجتمع الغربي دون أن تتأثر هويتها.

لم تع زوجة أبي هذه الحقيقة عن ابنتها إلا بعد وفاة أبي، فقد انفلتت الأمور من بين يديها، ولم تستطيع أن تحجم تصرفات ابنتها التي قررت أن تتزوج بأجنبي وألا تعود إلى مصر.

لم يعد لزوجة ابي من يرعاها غيري، لم أستغل ما

تمر به من أزمة غياب الابنة الوحيدة، أو بمعني أوضح جحود الابنة، بل يكفيها ما تتجرعه من آلام وإحساس قاتل بالندم على إفسادها إياها، وإنما قررت أن أنفذ وصية أمي الحبيبة التي كانت تردد دائما "اجعل من يراك يدعو لمن رباك"، نعم إنها أمي التي ربتني على العطاء والتسامح، الذي ربما يكون جعلك تظنني ضعيفة، ولكن القوة ليست بالصوت العالي، بل بالحلم والصبر.

تذكر دوما يا "خالد" أننا جميعا راحلون، ولن يبقى وراءنا إلا الأثر الطيب، وربما أردت أن تفرح أمي عندما تلتقي بزوجة أبي في العالم الآخر وتخبرها بأنى ما قصرت معها لآخر لحظة.

توقف "خالد" عن القراءة، وتذكر نظرات الإعجاب وكلمات الاطراء التي كان يوجهها دوما لـ "نادين" في حضور "دينا"، قاصداً أن يقول لها هي أفضل منك، ليتك كنت مثلها، أو ربما كان يريد أن يثير غيرتها لتستشيط غضباً، حتى ينطفئ الغضب المتأجج بداخله، ويتلذذ بطعم الانتقام، فهو لم ولن بنسي غريمه "محمود" ابن عمة "دينا" مهما طال الزمن.

ويبقى السؤال، هل كان الأمر يستحق كل هذا؟!

الفصل الثاني عشر

"نهاد"، سيدة طموح، عملية، أنيقة، مريحة الملامح، كانت تعمل مدرسة لـ"دينا" التي أحبتها ظناً منها أنها سوف تعوضها عن أمها التي فقدتها في سن صغيرة، بعد فترة معاناة مع المرض، كانت "نهاد" قد تركت زوجها السابق بعد تأكدها من أن لديه مانعاً خلقياً يمنعه من الإنجاب.

وجدت في والد "دينا" الرجل المناسب، وكانت "دينا" سبيلها للوصول إليه، توددت لها ورعتها وأحاطتها بكل أنواع الرعاية، وانتظرت النتيجة المرجوة، حتى طلبها الأب للزواج.

مرت السنة الأولى و"دينا" ابنة السبع سنوات تشعر بأن "نهاد" أمها الثانية، فبعد أن كانت تناديها "ميس نهاد" أصبحت تقول لها "ماما"، إلى أن أنجبت "نهاد" ابنتها الوحيدة "نادين"، حيث بدأ التغيير يطرأ على معاملتها لـ"دينا".

غيرت "دينا" اللقب من "ماما" إلى "طنط نهاد"، ولم يكن هذا التغيير من تلقاء نفسها، فهي طفلة لا تدرك ما وراء تغيير الكلمات، وإنما هذا ما طلبته منها "نهاد"،

بحجة أنها تريد تمييز ندائهما، وإنما كان ذلك بدافع التعلق الشديد بالابنة، والرغبة في تمييزها، وتلبية طلبها سريعاً، فلا ضرر من تأخير إجابة "دينا" ابنة زوجها، فلن يضيرها شيء.

بدأ الشجار ينشب بينها وبين الأب، الذي أدرك حقيقة الأمر، لكن دون جدوى، وخشي الأب المصدوم في زوجته من بطشها بابنته وقبل بالأمر الواقع، محاولاً تعويض ابنته عما تفقده من اهتمام.

مرت سنوات عدة، عاشتها "دينا" وسط عائلة أبيها في هدوء نسبي، تزوجت وأنجبت أولادها، ثم انفرط العقد وتساقطت حباته الواحدة تلو الأخرى، حتى فقدت "دينا" السند الحقيقي لها في الحياة، عندما لبى الأب نداء ربه أثناء حضوره اجتماع بالشركة جراء أزمة قلبية فاجأته، ولم تفلح جهود جميع من حوله في إنقاذه.

بذلك فقدت "دينا" الأب، ومن قبله الأم والأهل، وكذلك الأخت المقيمة بالخارج، وبالكاد تأتي خلال الإجازة الصيفية منتظرة الفرصة كي لا تعود أبداً.

انتظرت "نهاد" عودة ابنتها بعد وفاة الأب، لكنها استغلت رحيل والدها وأتمت الزواج الذي كان

يعارضه بشدة، واستقلت تماماً، ولم تلتفت إلى أمها، بل انقلب السحر على الساحر، ولم تدعها لحضور زفافها، وحرمتها اللحظة التي تنتظرها كل أم، لحظة أن تري ابنتها بالفستان الأبيض.

أصيبت السيدة بخيبة أمل، أثرت حالتها النفسية على صحتها، فأصيبت بأمراض الشيخوخة، هاجمتها أمراض نقص المناعة، وأصبحت تحتاج إلى رعاية كاملة.

لم تجد "دينا" في نفسها غضاضة في رعاية "طنط نهاد" التي لم تكن تكف عن البكاء كل يوم حين تمر عليها "دينا" في طريقها بعد الانتهاء من عملها تشرف على السيدة المقيمة معها بالمنزل، تستمع إلى شكواها فتبحث عن غيرها عندما تتأكد من عدم صلاحها، ويتكرر هذا الأمر مرات عديدة مما كان يكلفها الكثير من المال والجهد.

"خالد"، عرفت من الشركة ما تخطط له منذ البداية، شأني كشأن باقي الموظفين، حاولت أن أتظاهر بمعرفتي المسبقة بالأمر، تهربت من السؤال الذي لمحته في أعينهم وماذا عنك وعن أولادك؟!

حاولت أن أسألك هذا السؤال لكني لم أستطع، تابعت خطواتك عن كثب، وجدتك عازماً على الأمر، انتظرتك كي تفسر لي ما يحدث إلا أنك لم تفعل، فعرفت أن النهاية أصبحت وشيكة.

هذه المرة لم أكن أخسر أمامها منصباً أستحقه، بل كنت أواجه فقدان زوج أحبه.

دارت الدنيا ب"خالد" وأوشك على أن يفقد وعيه، وأخذ يحدث نفسه: كانت تعرف كل شيء، إنها تقصد شاهيندة، كيف عرفت؟ وما الذي تعرفه أيضاً؟ لماذا لم تواجهني وآثرت الصمت؟!

وضع "خالد" رأسه بين يديه، وأغمض عينيه، تذكر أنه كان ينبغي أن يكون هناك الآن، شرد بذهنه بعيداً، وسافر بخياله إلى حيث كان ينوي، تذكر الاجتماعات، وضع الخطط والأهداف، تقييم مرؤوسيه، إبهار رؤسائه، النجاح الذي كان ينتظره، الحصول على الجنسية، تلك كانت نواياه، إنها أحلام الطاووس التي سيطرت عليه فلم يكن يرى غيرها.

ثم ماذا بعد ؟! كان سوف يحقق كل ما يطمح إليه وأكثر، تاركا وراءه ميراثا ثقيلاً لـ "دينا" التي ترعي

أولاده وأمه وزوجة أبيها بمفردها. هل كان سيشعر بسعادة كاملة عما حققه من نجاح منقوص؟!

إن التألق في العمل إن لم تحققه اليوم فسوف تحققه غدا، حتى وإن لم تصل إلى ما تصبو إليه، فلن تلاحقك لعنة الإخفاق طيلة حياتك، لشيء بسيط ننكره جميعا، هو أننا اليوم نجلس على كرسي سوف يجلس عليه غيرنا غداً، وقبل أن نغادره سيقام لنا حفل تأبين أي تكريم، وأقصى ما سوف نحصل عليه هو مصافحة رئيس مجلس الإدارة، وكلما صافحنا باهتمام علت قيمة المكافأة المقررة لنا.

هكذا حدث "خالد" نفسه لأول مرة في حياته، تلك هي الحقيقة الصادقة، حتى لو أنها صادمة.

وأخيراً وليس آخراً "شاهيندة"، قصة طويلة، لم تعد في الخفاء كما كان يتوهم، بل إنها أصبحت في العلن حتى عرفت زوجته بشأنها، فهل يقوى "خالد" على مواجهة "دينا" بهذا الشأن، وما الذي سوف يقوله لها؟!

لم يعد في استطاعته ليّ الحقائق كما تعود دوماً، هذا ما أدركه بعد قراءة المذكرات، إنه الآن مثل الفارس

الذي فقد سيفه في قلب المعركة، شعور قاسٍ لا يحسد عليه!!

الفصل الثالث عشر

زوجتي الحبيبة .. أحببتك حتى بلغ الحب منتهاه، وعشقتك حتى سئم العشق مني .. أعرف أنني لم أكن لك السكن الذي كنت تنتظرينه، ولا أدرى كيف أصف لك حزني على حبي الذي لم أستطع أن أعبر لك عنه، ولا شخصي الذي لم تعرفي منه إلا الجانب المظلم!!

مرت السنين وأنا حائر وسط تربية خاطئة ترعرعت عليها، فرضها على المجتمع الذكوري الذي نشأت فيه، فوالدي كان يميز أبنائه الذكور عن الإناث حتى قبلن رغما عنهن أن يكن في الدرجة الثانية.

عادات قبلية موروثة من الأجداد، الرجل هو من يملك المال والسلطة ولا يعيبه إلا جيبه، أعراف ما أنزل الله بها من سلطان، صححتها الثقافة الحديثة والتعليم العالي والوسط الذي انضممت إليه، إلا أن جذورها ظلت بداخلي، تدفعني إلى أن أكون جافا، أحب من عمق قلبي ولا أعبر عن هذا الحب، ظنا مني أنه يضعفني، فانا الرجل صاحب الكلمة العليا كيف أخسر كل هذا بكلمات الهوى فتهوي بي وأفقد مكانتي؟

لقد خشي والدك عليك مني، لِما عرفه عن غلظة قلبي

المكتسبة رغما عني وأدرك أن هناك من هو أنسب لك مني.

عشت معك في حالة ثورة داخلية بسبب إحساس دفين كان ينهش أعصابي، ألا وهو "محمود" ابن عمتك، كنت دائماً أشعر بأنني في مقارنة معه في ذهنك وخيالك، صمتك كان يعذبني، كنت أريد أن اسمع صوتك كي أشعر أنك تكترثين بي، أما صلابة جأشك أمام ضغطي على كاهلك فقد كان يشعرني بضعفي وهواني عليك.

أعرف أنك لم تذكري يوماً اسم "محمود"، لكنني كنت أسمعه يدور في خلدك، أراه في عينيك الشاردتين دوماً، حتى أصبح بيننا جدار يزداد ارتفاعاً يوما بعد يوم.

أنا لم أكن لك الزوج المثالي الذي كنت تتمنينه، بل كنت اختياراً ربما سئمته أو ندمت عليه.

نعم كنت أبحث عن الإعجاب في عيون من حولي، لكن إعجابهن لم يعوضني افتقادي إعجابك بي، وما كان جفائي الذي تشتكينه إلا اصطناعاً لشوق وحنين أخفيهما، أعيشهما بعمق.

ارتفعت بيننا الحواجز يوماً بعد يوم، حتى فاقت قدرتنا على التخطي.

كل يوم كان يمر علينا كنت أشعر فيه بأنني الخاسر أمام "محمود"، ذلك الشبح الذي ظل يطاردني ليل نهار، مما كان يدفعني دائما لمحاولة إثارة غيرتك، حتى تنشغلي بإرضائي عن مقارنتي به، وما كانت "شاهيندة" إلا أداة لتنفيذ مخططي، فقد أردت أن أنأى بك بعيداً، وخشيت أن تأبي الرحيل معي، فوجدت في تلك الحيلة الخلاص من أوجاعي والانفراد بك.

أعلم انها فكرة مجنونة، ولكن كذلك سولت لي نفسي الجريحة التي تعاني جرحاً أو نقصاً لا ناقة لك فيه ولا جمل، ولا علاقة لك به.

تتحدثين عن صمتك بأسى، بينما كان هذا الصمت لا يزيدك إلا قوة ولا يزيدني إلا وجعاً، فكنت أشعر بأنك لا تبالين بي، فأزيد الضغط عليك ربما أشعر بالانتصار.

ذكرتِ أنني كنت على علاقة سابقة بـ "شاهيندة"، نعم، ولا أدرى ماذا صورت لك عن تلك العلاقة، لكني سوف أقص عليك تفاصيلها، دون تزييف هذه المرة، فأنا حقا اريدك أن تعرفي الحقيقة حتى يهدأ بالك:

تعرفت عليها أثناء رحلة إجازة نصف العام إلى الأقصر وأسوان التي كنت أنظمها عندما كنت رئيساً للجنة الرحلات بالجامعة.

كان عامي الدراسي الأخير، بينما كانت هي في عامها الأول، لا أخفي عليك سراً انها كانت حلم شباب الجامعة في مختلف المراحل، لما تتمتع به من جمال فضلاً عن انتقائها الملابس الغالية، ومحاولاتها الدائمة لفت الأنظار اليها.

حاولت التقرب إليَّ، مما جعلني أشعر بأنني أملك الأرض وما عليها، حتى ظننت أن الدنيا فتحت لي أبوابها وأنني سوف أختصر الكثير من الوقت والجهد حين أرتبط بها، تلك الفتاة الثرية التي تأتي الجامعة بسيارتها الخاصة، وتظل تحمل مفاتيحها بين يديها، ثم تضعها أمامها على المقعد حتى يعرف الجميع أنها تمتلك سيارة، فكذلك كان يتحدث عنها الجميع، في زمن كانت فيه الأسر تمتلك سيارة أو اثنتين علي الأكثر، فضلاً عن العطور التي كانت تضعها، فينتبه الطلبة والطالبات عندما تمر بجانبهم، فتتحول نظراتهم وأحاديثهم بما تحويه من إعجاب او غيرة إليها، وما كان هذا يزيدها إلا انتشاءً وسعادة، ولكن هذا المظهر

كان ستاراً زائفاً يخفي وراءه شخصية هشة، تعاني من العديد من التناقضات والتقلبات المزعجة.

أحكمت قبضتها عليَّ حتى اطمأنت أنني أصبحت من مريديها، ثم تحولت إلى غيري تحاول لفت انتباهه، فعلت ذلك عدة مرات مع العديد من الشباب الذين فقدوا صوابهم ومروا بأزمات عدة.

إلا أنني لم أكن مثلهم أملك رفاهية السقوط، فأنا من أسرة متوسطة الحال، كنت أنتظر تخرجي بفارغ الصبر حتى ارتقى إلى المستوى الذي أحلم به، كانت لدي أحلام بعيدة المنال تحتاج إلى عمل وجهد مضنٍ لأصل إليها، أيقنت أن تلك الفتاة لن تكون الرفيق الأمثل في تلك المرحلة الحرجة، فأدركت نفسي قبل أن أهوي في بئر الاكتئاب المظلم الذي عانى منه العديد من زملائي.

ابتعدت عنها، فكنت بذلك أول من ينأى بنفسه بعيداً عن مخالبها، وكانت المفاجأة أنها بدأت تطاردني في كل مكان، كنت أعلم أنها لم تعتد أن يدير لها أحد ظهره، وأنها تريد أن تعود بي إلى صفوف المغرمين بها ثم تمارس ألاعيبها مرة أخرى.

تلك كانت متعتها، أن تكون معبودة الجماهير، محطمة قلوب الشباب. لم تكف يدها عني، حتى اضطررت إلى مواجهتها بحقيقتها المؤلمة، وكانت المفاجأة**!!**

الفصل الرابع عشر

توقف "خالد" عن الكتابة داخل الأچندة الخضراء حيث قرر أن يكتب بداخلها لـ"دينا"، لكنه توقف عن الكتابة عندما شعر بحالة هرج بالخارج، ففتح باب غرفته مسرعاً نحو صوت أولاده المرتفع، ليجد والدته قد وقعت على الأرض جراء دوار أصابها، بينما كانت "زينة" تمسك بهاتفها المحمول تتحدث إلى والدتها تخبرها بما حدث للجدة.

طلبت "دينا" من ابنتها أن تعطي الهاتف لـ"خالد" الذي أصابه الذهول، التقط "خالد" الهاتف وكانت تلك هي المرة الأولى التي يتحدث فيها إلى "دينا" منذ أن انتقلت إلى منزل أبيها.

- "خالد" من الواضح أنها لم تأخذ دواء ضغط الدم اليوم، استدعِ لها دكتور عمر ڤيلا ٢٠٩ واتصل بي فور حضوره وسوف أشرح له الحالة.

اتجه "خالد" علي الفور إلى ڤيلا الدكتور عمر يطلب منه المساعدة كما أشارت عليه "دينا"، لم يتأخر الجار بل التقط حقيبته وذهب مع "خالد"، وقد قام بالكشف على الحاجة "فاطمة" ، ثم بدأ يسأل عن الأدوية، فقام "خالد" بدوره بمعاودة الاتصال بـ "دينا" التي أفادته

بكل المعلومات عن حالتها والعلاج المقرر لها من قبل الطبيب المعالج.

مكث الطبيب إلى جانب الحاجة "فاطمة" حتى استقرت حالتها، وانتظم قياس ضغط الدم بعد تناول الدواء الذي غفلت عنه، وقد شدد على جميع الحضور ضرورة الالتزام بمواعيد الدواء.

هدأ "خالد" بعد استقرار حالة والدته، إنها المرة الأولى التي يشعر فيها بالتوتر الشديد وقلة الحيلة عندما شاهدها مغشي عليها، فتذكر حالة الاضطراب واعتلال المزاج التي كانت تصيب "دينا" حين يمرض أبناؤها أو يصابون بمكروه، كيف كان يلومها ويستنكر مشاعرها ولا يجد مبرراً لما هي عليه من انزعاج، فأيقن أنه كان يزيد إلى متاعبها وجع افتقاد المؤازرة.

بدأ "خالد" يعاني من فراغ عاطفي واشتياق إلى رفيقة العمر التي طالما تألمت في صمت جراء جمود شخصيته التي فرضها على الجميع.

امسك "خالد" تليفونه واتصل بـ "دينا" فأجابته بانزعاج شديد

- خير، هل طنط "فاطمة" بخير؟

- نعم إنها بخير الآن لا تقلقي.

تنفست "دينا" الصعداء

- اشتقت إليك كثيراً، البيت بدونك لا يطاق، أتمنى أن تتحسن حالة "طنط نهاد" حتى تستطيعي العودة في أقرب وقت.

لم تجد "دينا" كلمات تجيب بها، فهي لم تعد تعرف مغزى ما تسمعه، هل هو حقا إطراء، ام أنه مقدمة لشجار بارد؟

- أعرف أنني لم أكن أعبر لك عن حبي، عذراً، إنه جهل مني، وإنما الحب بداخلي موجود وسيظل إلى آخر العمر، دمتِ لنا يا حبيبتي.

هكذا أنهى "خالد" مكالمته، ولاتزال "دينا" تحاول استيعاب الموقف، تنظر إلى الهاتف لتتأكد أنه "خالد" من كان يحادثها، إنما ثمة شيء غريب قد طرأ عليه، ماذا حدث له؟! إنه أمر مفرح حقاً، وعجيب في الوقت نفسه.

سمعت "دينا" صوت "طنط نهاد" تهمس بالنداء فأجابت: "حاضر يا طنط"

ارتدت "دينا" الكمامة والجوارب التي تقوم بتغييرها في اليوم عدة مرات حفاظاً على سلامتها، واقتربت من السيدة لتجد الدموع تنهمر على وجنتيها.

- لا تغضبي مني يا "طنط"، كنت اتحدث إلى "خالد" لأطمئن علي طنط "فاطمة" فقد ارتفع ضغطها و..

قاطعتها السيدة وقالت:

- كيف أغضب منك؟! إن حبك في قلبي يزداد كل يوم، وإذا كنت يوما درست لك حرفا فأنت اليوم المدرسة التي علمتني معنى العطاء، رحم الله والديك، أنت ابنتي التي لم أنجبها ولم أنجب غيرها، أرجوك أن تناديني "ماما".

لم تتمالك "دينا" دموعها إشفاقا على دموع السيدة، وقد تذكرت أمها التي كانت تردد: "اجعل من يراك يدعو لمن رباك"

وهكذا عاد لقب "نهاد" مرة أخرى إلى "ماما".

كم افتقدت "دينا" هذه الكلمة وهي طفلة، وكيف تقولها اليوم مجاملة، وهي لا تشعر بها ولا تحتاج اليها، بل إنها أصبحت ثقيلة على لسانها؛ لأن الأمر يذكرها بشعور الخزي واليتم الذي شعرت به في طفولتها، فقد عاد إليها شعور الطفلة التي ربما تكون حاولت أن تتناسي الظلم الذي ألجمها، واستسلمت لقلة حيلتها، وإنما ظل الألم بداخلها مستتراً.

إن من المظالم ما ينساه المظلوم، ويغض عنه الطرف

مضطرا، ولكن عين الله لا تغفل عن حقوق العباد، لا تمر الدنيا قبل أن تقتص لك، فيد الله في رد المظالم لا تخطئ أبداً، وكأن "دينا" كانت على موعد مع ميزان العدل ليرد لها كل ما حرمت منه ظلماً، فقد طلبت منها "طنط نهاد" أو "ماما نهاد" أن تحضر لها ملفاً تحتفظ به داخل خزانتها.

- "دينا" أرجو أن تنتبهي لهذا "الدوسيه" جيداً، إنه يحوي أوراقاً بالغة الأهمية، احتفظي به في مكان آمن.

هكذا تحدثت "ماما نهاد" إلى ابنتها التي لم تنجبها، وبعد فترة وجيزة خلدت إلى النوم، إلا أن حالاتها لم تكن مطمئنة، فحالة السعال اشتدت عليها وقياس الأكسچين انخفض إلى ٨٤، مما جعل "دينا" تتصل بالطبيب المعالج والذي بدوره، قرر ضرورة نقل السيدة إلى المستشفى.

لم يكن الامر بالهين علي "دينا" التي اعتادت دائما أن تواجه المواقف بمفردها وتعبر الصعاب منفردة، لكن الامر هذه المرة كان مزعجاً، فهو يتعلق بحياة إنسانة، والوقت محسوب عليها، لم تأخذ "دينا" في التفكير وقتاً طويلا، بل سارعت إلى الاتصال بمن يستطيع أن يساعدها ويدرك السيدة قبل فوات الأوان.

الفصل الخامس عشر

بعد أن اطمأن "خالد" علي حالة والدته قرر الذهاب إلى منزل والد "دينا" في المعادي قبل موعد الحظر المحدد، يهاتفها فتخرج إليه يتحدثان معاً، ربما تكون في احتياج إلى المؤازرة، وقد مر في طريقه على السوبر ماركت، جمع بعض المتطلبات ربما تكون "دينا" في احتياج إليها، فقد اعتاد على شراء الطلبات بعد غيابها عن المنزل، كما قام بطلب السوشي الذي تحبه، وكذلك بعض الحلوى التي تفضلها، لقد أراد أن يفاجئها ويتناولا وجبة الغداء معا في حديقة المنزل

إنه "خالد" الذي تحرك قلبه، وتذكر أنه مازال يعرف كيف يعبر عن الحب، وأن بإمكانه أن يسعد "دينا" بالوجبة التي تحبها، وأخذ يرسم في ذهنه صورتها بابتسامتها الرائعة، عندما يتصل بها ويطلب منها الخروج إلى الشرفة لتجده امامها، يشير إليها لتنزل إليه لتناول الغذاء.

إلا أنه وصل متأخرا عن موعده كعادته، وإنما يكون الاحتياج للدواء وقت التعب ولا قيمة له بعد الشفاء.

وصل "خالد" إلى وجهته يبحث عن مكان لسيارته، الشارع مكتظ بالسيارات فالجميع يمكث في منزله،

لمح سيارة "دينا" أمام المنزل فتعجب: لماذا لا تضع سيارتها داخل الجراچ الذي يسع سيارات أهل البيت، وقد لفت نظرة وجود سيارة أخرى يعرفها جيداً، فهل هي حقا السيارة التي يمقت صاحبها؟!

نزل "خالد" مسرعاً متجها إلى منزل "دينا"، تتلاحق أنفاسه، ترتعد أطرافه، لا يعرف ما الذي ينبغي عليه أن يفعله إذا رأى ما يخشى أن يراه، يفكر ما الذي دفع صاحب تلك السيارة إلى أن يأتي إلى هنا؟!

إن البيت بداخلة مريضة بمرض مميت! أم أنه ربما يكون يقابل "دينا" في الشقة التي تربي بها بالدور الأرضي؟! هل هذا معقول؟ هل يتقابلان في هذه الظروف؟ هل يتواعدان كحبيبان؟ إنه شيء يدفعه إلى الجنون.

اقترب "خالد" من بوابة المنزل الحديدية التي كانت مفتوحة على مصرعيها إلا أنه توقف فجأة ولم يستطع المرور إلى الداخل، فسيارة الإسعاف كانت تقف في الجراچ الخاص بالمنزل حيث ينتظر سائقها المسعفين اللذين يحملان "نهاد" ومعهما طبيب يصيح:

- "أسرعوا.. أسرعوا"

حتى أدخلوا السيدة التي كان يبدو عليها الإعياء الشديد، وانطلقوا بها، لم يكن هناك من الناس من يلتفت حول السيارة للمساعدة كالعادة، بل إن المكان كان هادئاً فارغا من المارة والجيران، حتى "خالد" لم يقبل على المساعدة، ربما يكون من هول ما رأي أو من نزعة الخوف التي أصابت الجميع من احتمال الاصابة، فالكل يجزع من الاقتراب في مثل هذه الظروف.

استفاق "خالد" الذي لم يبرح مكانه من الصدمة، على مشهد "دينا" التي تهرول في فزع، ومعها "محمود"، حتى ركبا معا في تلك السيارة الملعونة وانطلقا وراء سيارة الإسعاف دون أن يلحظا وجوده.

عاد "خالد" إلى داخل سيارته، لا يعرف ما الذي عليه أن يفعله، فهل ينطلق معهما وراء سيارة الإسعاف؟ أم يهاتف "دينا" ويطلعها على أنه موجود بجانبها وأنه لن يتركها بمفردها؟

أخذ "خالد" يدير سيارته، ثم يطفئها ويلتقط هاتفه، كرر هذا الفعل أكثر من مرة، حتى استقر في النهاية دون أن يفعل هذا أو ذاك، إنها لم تلجأ إليه عند الحاجة

وإنما لجأت إلى "محمود"، لماذا، لماذا؟! فأنا زوجها، كيف تلجأ إلى غيري؟ إنه هو من فكرت فيه.

هكذا حدث "خالد" نفسه، حتى أدرك أنه ربما يكون قد

حصل على تذكرة القطار، ولكنه وصل متأخرا ولم يدركه قبل أن ينطلق، وإنما أدركه "محمود".

مكث "خالد" إلى جانب الطريق، لا يعرف إلى أين يذهب، هل يعود إلى منزله ينتظر عودة "دينا"؟

لم يستطع "خالد" العودة إلى المنزل، بل حول وجهته إلى طريق العين السخنة حيث الشاليه الخاص به.

انطوي طريق السفر بسرعة غير معهودة، حتى وصل "خالد" إلى الشاليه، جلس حزيناً بالشرفة التي تشرف على الحديقة الأمامية، حتى تلقي اتصالا لم يجيب عليه، تلاه اتصال آخر أصابه بارتباك، فلم يجب على أي منهما، الأول كان عبر تطبيق الفيس تايم والآخر كان من رقم "محمود"، لكنه لم يكن "محمود" الذي يتصل به، بل كانت "دينا" التي فرغ منها شحن المحمول الخاص بها، فاستخدمت هاتف "محمود" لتخبر "خالد" بما يجري

لم يكن هاتف "محمود" مثيرا للجدل بالنسبة ل"خالد" فحسب، لكنه كان مثيرا للدهشة لـ"دينا" عندما شاهدت رسالة لم تتوقعها مرسلة له على الشاشة.

فرغت "دينا" من إجراءات دخول "نهاد" إلى العزل بأعجوبة لصعوبة ظروف المستشفيات التي تعاني من التكدس، ولولا وجود "محمود" معها لعانت أشد معاناة، فقد ساعدت وظيفة "محمود" لكونه إعلامياً معروفاً لبرنامج توك شو مؤثر على إتمام تلك العملية بسلام.

كان يوما مليئا بالأحداث المتلاحقة التي تحتاج إلى التحليل والتدقيق في تفاصيلها.

أعاد "محمود" "دينا" إلى منزل أبيها فقد نصحها الأطباء أن تعزل نفسها لمدة لا تقل عن أربعة أيام قبل أن تختلط بعائلتها، وكذلك "محمود" الذي يعيش مفرداً في استديو استأجره في منطقة السادس من أكتوبر، يقيم فيه أغلب أيام الأسبوع ليكون بجوار عمله بمدينة الإنتاج الإعلامي، لكن نظراً لاقتراب موعد الحظر فقد قرر المبيت في منزل جدة لأبيه في شارع ٩ بالمعادي، وهو خلف منزل جده لأمه بشارع الحدائق

والذي تربى فيه مع والدته بعد انفصالها عن والده الذي كانت تعرفه منذ الصبا لكونهما جيراناً.

ورث "محمود" عن والده الكثير من الغموض والتناقض، شخصيته ناجحة، لديه كاريزما، حسن الملامح، أنيق المظهر، لبق، سريع البديه، مراوغ، ثعلب الإعلام كما أطلق عليه زملاؤه، انفصل عن زوجته بعدما أنجب منها ابنه الوحيد الذي يعيش مع والدته المذيعة المرموقة بإحدى القنوات الفضائية، والتي يشهد لها الجميع بالرقي ودماثة الخلق.

الفصل السادس عشر

دخلت "دينا" إلى غرفتها تستعرض أحداث اليوم الحافل الذي مر عليها بما يحويه من ضغط عصبي ومفاجآت غير متوقعة، شردت بذهنها وهي تتذكر تلك الرسالة التي ظهرت لها على هاتف "محمود"، تفسيرات عدة طرأت عليها، حاولت أن تطردها عن ذهنها وتبحث عن تفسير آخر، فحقيقة الأمر مؤلمة إذا صدق ظنها، حتى وقع نظرها على الدوسيه الذي أعطته لها "نهاد"، فالتقطته ربما تجد بداخله شيئاً مهما، وما إن طالعت "دينا" تلك الأوراق حتى انتفضت من مكانها، اتجهت إلى غرفة "نهاد" تبحث عنها لكنها لم تجدها، فانهارت من البكاء راجية من الله أن يعافي السيدة التي تركت لها عقد هبة للشقة التي كتبها لها الأب مجبورا لإرضاء زوجته الجديدة، تلك الشقة التي عاصرت فيها أمها وتُكن لأركانها العديد من المشاعر والذكريات.

عادت "دينا" إلى غرفتها، استلقت من شدة التعب حتى غفت وسقط بجانبها الدوسيه.

استيقظت في صباح اليوم التالي على جرس الباب، إنها "أم عفاف" زوجة "عم صالح" حارس العقار

المجاور تمر عليها من آن إلى آخر بحثاً عن عمل تقوم به، فهي تكتسب رزقها لتعين زوجها على مصروفات المعيشة.

طلبت منها "دينا" أن تقوم بتنظيف الشقة بالدور الأرضي، فقد مر زمن طويل عليها وهي مغلقة، كما أنها لم ترغب أن تدخل السيدة إلى غرفة "نهاد" قبل تهويتها جيدا حتى لا تتعرض للعدوى.

اصطحبت "دينا" السيدة إلى الطابق الأرضي، وعندما وصلت إلى باب الشقة، شاهدت الحوض الذي كانت جدتها تزرع فيه النعناع الأخضر برائحته الزكية، ثم تضعه في كوب الشاي فيعطي له مذاقاً ولا أروع، وعند مرورها إلى الداخل، تعثرت بصندوق يحوي متعلقات ففتحته، وإذا بزجاجة عطر من أرقى أنواع العطور الفرنسية "Esitée" بقيت رغم مرور سنوات طويلة عليها، بينما صاحبتها رحلت وذهب معها أثرها، وهاهي رائحة العطر المعتق تحيي ذكراها في قلب "دينا"، إنه عطر أمها المفضل.

امتدت يد "دينا" داخل الصندوق لتجد دميتها التي كانت تواسيها إذا بكت، ترعاها إذا أهملتها "نهاد"، تسايرها حتى لا تشعر بالوحدة، مفاجآت الواحدة تلو

الأخرى داخل صندوق العجائب، براويز تحوي صوراً بالأبيض والأسود، أزاحت عنها التراب الذي طمسها، لتشاهد صور زفاف والديها فضلا عن صور لها مع والدتها، دفنت في هذا الصندوق منذ دخول "نهاد" إلى هذا المنزل.

بينما "دينا" تبحث وتكتشف ما بداخل الصندوق، قامت "أم عفاف" بفتح الشبابيك المغطاة بالغبار الأسود، وبدأت مراحل التنظيف الشاق، حتى انتهت "دينا" إلى مجموعة من الصور تجمعها بعمتها ومحمود الذي كان ينظر إليها نظرات لها معانٍ عميقة في صور متعددة على مدار السنين، فقد ظهر وهو طفل يحتضنها، ثم وهو شاب يرمقها بإعجاب، لحظات موثقة بعدسات كاميرات الزمن الجميل التي لم تكن تكذب أبدا، ليست كصور اليوم التي تعلمت الكذب حتى أصبحت تُصدر مشاهد منافية للواقع والمشاعر الحقيقية.

رق قلب "دينا" لزمن قد فات وأرواح لن تعوض، وعاشت ساعات حسبتها دقائق، حتى ظهر أمامها "محمود" يحمل الإفطار والقهوة من "ماكدونالدز" الذي يقع عند تقاطع شارع ٩ وشارع الحدائق.

- شاهدت "أم عفاف" وهي تنظف المنزل فعرفت أنكِ هنا ..

- شكرا يا "محمود"، أنا أعشق قهوة ماكدونالدز.

- أعرف، وقد احضرت لك فطيرة التفاح التي تتناولينها مع القهوة.

- أبهرتني يا "محمود".

- وسأظل أبهرك دوماً .. كأن الزمن لم يمض يا "دينا"، فأنا أشاهد نفسي وأنا أجري خلفك في الحديقة لأمسك بك.

- نعم، مرت الأيام سريعاً حتى كبرنا.

- أنت لن تكبري ابدا، بل مازلت جميلة كما كنت دوما، دعيني أشاهد معك تلك الصور، ما هذا؟!، لو ظهرت هذه الصور للإعلام لفقد وظيفتي، انظري إلى هذه الصورة، إنها لجدنا يقتطف المانجو التي زرعها بيده.

- نعم أتذكر أننا كنا ننتظره على تلك الأرجوحة حتى يقطعها لنا في أكواب من الزجاج ويطعمنا إياها بالملعقة.

- كان يسميني "عويس أفندي" ويسميك "فونس هانم" تيمناً بأنواع المانجو التي نحبها.

- نعم، وكنت تصر على أن تأكل بمفردك، وتسقط المانجو فوق ملابسك، التي تظل محتفظة باللون الأصفر رغم محاولات عمتي البائسة لغسلها.

- هل تعرفين يا "دينا" أنك تشبهين أمي، ربما يكون ذلك من أسباب حبي لك.

باغت "محمود" "دينا" بهذه الكلمة، فتغير وجهها، وهمت بالنهوض من مجلسها، إلا أنه اعتذر لها وطلب منها الجلوس واستكمال حواره معها:

- "دينا" هل أنت سعيدة؟

- نعم.

- لِم تكذبين على نفسك، أنا أعرفك جيدا، أنت لا تبدين سعيدة.

- إن السعادة نسبية يا "محمود"، فلسنا طيلة الوقت سعداء، ولكن طالما أننا نشعر بالسعادة يعني أننا سعداء بعض الوقت، فهذا...

- أنا لم أكن سعيداً مع مرام، وقررت أن أواجه نفسي، لم أستطع يوماً أن أحبها كما أحببت من قبل، فقررت أن أتحرر من هذا القيد، ربما أستطيع أن أدرك حبي الضائع، الذي لم ولن أنساه أبداً.

حاولت "دينا" الهروب من ملاحقة "محمود" لها، فهي لا تفهم ما الذي يرمي إليه، ولا تملك دليلاً قاطعاً على ما يدور في خلدها، إلا أنه ظل يحاصرها باهتمام مفتعل على مدار الأيام التالية، حتى خشيت على نفسها منه، إنه الاهتمام الذي تفتقده بشدة، إنها تحتاج لـ "خالد" الذي اختفى دون مبرر.

الفصل السابع عشر

أبقت "دينا" "أم عفاف" معها بالمنزل حتى لا تبقى بمفردها مع "محمود" الذي يقضي معها معظم ساعات اليوم إلى بعد موعد الحظر، فهو يعود إلى منزله سيراً على الأقدام بعد العشاء كل ليلة مع "دينا" في حديقة المنزل، إنه لا يعطيها فرصة التفكير فيما يدور من حولها، وأنما يعطي لنفسه مساحة لخصوصياته، فيبتعد قليلا عند تلقيه مكالمة يومية لا تعرف صاحبها، على عكس باقي المكالمات التي يجريها بجانبها، إلا أنه يتحفظ ويتكلم بالألغاز عندما يستقبل اتصالا بعينه، فهل صاحب هذا الاتصال له صلة بتلك الرسالة الغريبة؟!

إن "دينا" التي تتمتع بالفطنة والذكاء الحاد، لم تتوصل بعد لما يثلج صدرها سواء بالإدانة أو النفي، وما زالت تحاول أن تصل إلى كليهما حتى تتبين لها الأمور وتستريح.

إنه اليوم الرابع لـ "دينا" في منزل أبيها، فهي تستعد للعودة إلى بيتها، وكذلك "محمود" الذي عليه العودة

إلى منزله المستأجر ليكون قريباً من مقر عمله، فاليوم هو موعد حلقته الأسبوعية على الهواء مباشرة.

تنتظر "دينا" رحيل "محمود" عنها كي تعود إلى حياتها، وقد قررت أن تُرجئ التفكير إلى الأبد، إلا أنها أمسكت خيطاً رفيعا قد يوصلها أو لا يوصلها لما تسعى إليه، إنها مكالمة استقبلها "محمود" وقرر هذه المرة أن يجريها بجانب "دينا"...

- "أيوة" .. موعدنا اليوم، الساعة العاشرة بتوقيت القاهرة، كيف حال الاستعداد؟ عظيم، أهم شيء هو التركيز، لن تخرج الأسئلة عن المتفق عليه، سوف نتحدث بعد الحلقة وسوف نتحدث عن كل شيء، الأمور تسير هنا علي ما يرام.

تلقت "دينا" اتصالاً من "خالد" قطع تركيزها مع "محمود"، فتوجهت بعيداً عن "محمود" حتى لا يظهر صوته أثناء المكالمة، إلا أن "محمود" صمت تماماً كي يتابع الموقف، كان "خالد" منفعلاً إلى أقصى درجة، كان كلامه يحوي معانٍ تنذر بعواقب وخيمة،

ظهر ذلك جلياً على وجه "دينا"، التي لم تنطق بكلمة واحدة.

- "دينا"، أن الأمور بيننا وصلت إلى طريق مسدود، لم أعد أعلم من أكون بالنسبة لك، أصبحت تتصرفين كما تشائين، ما الذي يحدث الآن في بيت والدلك؟! ما الذي تخفينه عني؟! استمعي إليّ جيداً، أنا لم أعد أحتمل تصرفاتك الأحادية، لم أعد أحتمل تدخلات الآخرين في بيتي، أنا أُخيرك الآن، إما أن تعودي إلى رشدك وتعرفين حق الزوج، أو تستمري في طريقك وأستمر أنا في طريقي، فكري جيداً، وأنا في انتظار اختيارك.

هكذا أنهى "خالد" الاتصال، ثم عاود "محمود" محادثة الطرف الآخر بعد فترة صمت وترقب، وبدا عليه الارتياح، ثم أنهى الاتصال، وتوجه إلى "دينا" قائلا:

- أنا مضطر أن أذهب، فاليوم موعد حلقتي الأسبوعية، "دينا"، إننا نعيش الحياة مرة واحدة، فلا تفرطي في سعادتك من أجل الآخرين، ما زال الوقت

أمامنا، سوف أكون بجانبك دائماً، فأرجو أن تحسني الاختيار هذه المرة.

"الاختيار؟! الاختيار؟!، من أين جاء "محمود" بهذه العبارة؟! إن عقلي أوشك على الانهيار!!"

هكذا حدثت "دينا" نفسها وهي تضع رأسها بين يديها، ويبقى لها أمل أخير تنتظره، ألا وهو موعد حلقة الهواء الخاصة بمحمود الساعة العاشرة مساءً بتوقيت القاهرة.

جمعت "دينا" متعلقاتها، وأسرعت إلى منزلها بالتجمع الخامس، معتقدة أن "خالد" هناك، إلا إنها علمت بإقامته بالعين السخنة منذ أربعة أيام، أي منذ تاريخ دخول "نهاد" إلى المستشفى، فهل يعلم شيئاً عن كل ما حدث؟!

لم تبدُ "دينا" في حالة طبيعية، فقد بدا ذلك واضحاً للجميع، فبعد غياب عن المنزل دام قرابة العشرة أيام، تعود "دينا" مرتبكة شاردة الذهن، تقابل الجميع بفتور

دون أن تسأل عن أحوال البيت، وها هو "خالد" ترك البيت ولا يسأل عن أسرته.

دخلت "دينا" إلى غرفتها، وقد ارتفع صوتها بالبكاء، فأسرع "سيف" يخبر جدته، التي تحاملت على عكازها لتدرك "دينا"..

- ابنتي الغالية، لن أُحدثك كحماه توجه زوجة ابنها، ولكني أتحدث إلى ابنة من بناتي، قد أكون فقدت الصحة، لكني لم أفقد الخبرة وشعور الأم بأبنائها، أعرف أن هناك الكثير من المشاكل بينك وبين "خالد"، وذلك منذ أمدٍ بعيد، لن أُحملك وحدك عبأها وإنما تتحملانه معا، لن أسألك عن الأسباب لأنك ربما لن تجدي سببا محددا بعينه، لكنني أعلم أن استمرار الحياة الزوجية يحتاج إلى الكثير من العطاء والحلم والصبر، وأنا أعلم أنك مثال لكل تلك الصفات، وتذكري أن الشيطان، وقت الغضب، يشعل الصدور بلهيب الجمرات، فاستعيذي بالله منه، فالأمور ليست بهذا السوء، إن "خالد" يحبك وأنت كذلك تحبينه، تأكدي أن رب الخير لا يأتي الا بالخير، ربما تشعرين أن ما أنت

فيه الآن هو الشر كله، وإنما هو ابتلاء سوف يمر مرور الكرام، شوائب تطفو فوق الذهب المُذاب لتجعله أكثر نقاءً وأعلى قيمة، فاطمئني إن دعائي لك مستجاب بإذن الله.

احتضنت "دينا" الحاجة "فاطمة" وأجهشت في بكاء لم ينقطع حتى جاء موعد حلقة العاشرة مساءً، فقامت "دينا" مسرعة نحو التلفاز تبحث عن القناة، وجلست تستمع إلى "محمود" الذي بدا في أحسن حالاته تلك الليلة.

الفصل الثامن عشر

بدأ "محمود" الحلقة بقراءة عناوين الأخبار الصادرة عن المستجدات التي تخص الڤيروس، وكذلك تطور الأوضاع في معظم بلاد العالم، ثم بدأ يتحدث مع مراسلين القناة في هذه البلاد، الذين بدورهم يلتقون بالمسؤولين في مختلف البلدان، ثم بدأ يستضيف بعض الأطباء لمعرفة الرأي الطبي ومراحل تحول الڤيروس، والتواريخ المتوقعة للقاحات.

تخلل الحلقة العديد من الفواصل والإعلانات، حتى أشرفت الحلقة على الانتهاء، وبدأ اليأس يتسرب إلى "دينا"، التي شعرت أن فَراستها خانتها هذه المرة، وأنها لا تملك دليلا واحداً يساعدها لحل مشكلتها، إنها لم تعد تفهم ما الذي يجري من حولها.

إنه الفاصل الأخير للحلقة، فهل بعد هذا الفاصل سوف أجد شيئاً؟!

بينما "دينا" تتحدث إلى نفسها، استقبلت رسالة عبر الواتس آب، إنها من "محمود"...

- "آخر فاصل وفريق الإعداد هيكلمك، وأنا هاكلمك بعد الحلقة أعرف اللي عندك واحكي لك كل حاجة... مبروك عليكِ "خالد"... ومبروك عليا "دينا" ✌ .

أيقنت "دينا" أن هذه الرسالة كانت مرسلة إلى شاهندة وأرسلت إليها بالخطأ، فأخذت منها عدة صور متتالية تعدت العشرين نسخة، حتى انتبه الطرف الراسل أنه أخطأ خطأً جسيماً، قد يكلفه ضياع مخططاته الهدامة، فهو يسعى إلى تحقيق منافع شخصية يعتبرها رداً لحقوق ضاعت منه، هكذا تفسر النفوس المريضة أفعالها كي تنعم بنومٍ هادئ ليلا، أي نوع من البشر هؤلاء؟! إنه من العار أن ينتموا إلى الجنس البشري وقد نظلم الحيوانات الوفية إذا نسبناهم إليهم، فمن بني الحيوان من يصادق الإنسان ويعرض نفسه للخطر ليفديه.

هكذا اتضحت الصورة، فقد كانت تلك الرسالة التي شاهدتها "دينا" ولمحت فيها صورة قريبة لشاهندة على هاتف "محمود"، هي حقاً تخصها، كان فحواها...

"اتصلت به مش بيرد هاكلمه تاني.. طمني انت عملت إيه مع "دينا"؟".

لا يزال هاتف "دينا" بين يديها حتى رن الجرس، إنه "محمود" يتحسس الأمر..

- "دينا"، المستشفى اتصلت بي لتطمئنني على حالة طنط "نهاد"، إنها بخير الآن، وهي تسأل عنك، بإمكاننا أن نذهب إليها سويا في الصباح، فلنتقابل باكرا نتناول الإفطار في حديقة المنزل بالمعادي ثم نذهب إليها.

- ماذا تقول؟!

صمت "محمود"، ولم يعقب فاستطردت "دينا":

- هل أجبت على تليفون المستشفى أثناء الحلقة؟! والآن أنت تعاود الاتصال بي لتخبرني بهذا الأمر، لماذا لم تنتظر حتى انتهاء عملك؟ لماذا لم ترسل لي رسالة عبر الواتس آب؟ أم خشيت أن تخطئ وترسلها بالخطأ إلى شاهندة؟

أتعلم يا "محمود" أنكما الأنسب لبعضكما، فأنتما على نفس الشاكلة، شخصيات مشوهة ومسممة.

- لم أكن أنا من أقام علاقة مع "شاهيندة" يا "دينا"، إنما هو "خالد" زوجك، لقد لجأت لي شاهيندة، وطلبت أن أساعدها حتى تستطيع تشويه صورته كرجل اقتصادي معروف، وكذلك طلبت مني أن أنسب إليه

قرارات خاطئة اتخذها عبر برنامجي، حتى يشعر بالضجر من كثرة ما يعانيه من حروب ومضايقات ويتعجل في أخذ قرار السفر، لكني خشيت عليك من تبعات ذلك، ولم أرِد أن أشارك في تلك المؤامرة من أجلك أنت، والآن أنا أحاول أن أستعيدك وأحررك من قبضة هذا الوغد، هل نسيتِ أنه فرّق بيننا واستغل المشكلات العائلية ليفوز بك، ألم يقل لك إنه على اتصالٍ يومي بشاهي، وهي تعرف كل تفاصيل حياتكما معاً، وربما تعرف أمورا عن زوجك تجهلينها أنت .. أليس "خالد" الآن يقيم بشاليه العين السخنة؟ تحديداً منذ أربعة أيام، لقد شاهد عربة الإسعاف وهي تنقل طنط "نهاد" ووقف مكانه لم يحرك ساكناً، خشي على نفسه من العدوى، غير مبالٍ بك!!

ألم يكن يخطط للسفر إلى نيويورك؟! ليس هذا فحسب، بل دعيني أزيدك من الشعر بيتاً، لقد كان يخطط للزواج من شاهيندة، وكان يريد أن يحتفظ بك لتربية أولاده مثل الخادمات مدفوعي الأجر، هل كنت ستقبلين بهذا الوضع يا ابنة خالي؟!

- الفاصل الإعلاني أوشك على الانتهاء يا "محمود"، عُد إلى برنامجك، فلا تزال لديك مداخلة من نيويورك.

- "دينا"، استمعي إليّ جيدا، "خالد" باعك، واتفق مع شاهي على الزواج، نادته جميلة الجميلات وقد لبى نداءها وانتهى الأمر، وها أنا الآن أمد يدي إليك وأقول لك إني ما زلت أحبك، تذكري دائماً أن "محمود" علوان يطلب فيُجاب.

لم تستكمل "دينا" الاستماع، بل أغلقت الخط والدنيا تدور حولها، وقد عاد "محمود" ليظهر في (الكادر)، لا يبدو عليه شيء، إنه بارع في التلون على كل لون، يا له من شخص وصولي!!

- نظراً لطول الفترة الإعلانية نكتفي بهذا القدر اليوم من حلقة الأسبوع، أخبار حول العالم، نلقاكم الأسبوع القادم بإذن الله في نفس الموعد لمناقشة أخبار العالم، الصحية، الاقتصادية، العلمية، فكونوا معنا، وحتى نلقاكم نستودعكم في أمان الله.

هكذا ختم "محمود" لقاءه الأسبوعي، ولم يستضف "شاهيندة" على الهواء.

جلست "دينا" وأغمضت عينيها للحظات حتى يخف الألم الذي تشعر به، ثم لمحت الأچندة الخضراء على الرف المخصص لـ "خالد"، فالتقطتها.

وقعت عيناها على السطور التي خطها "خالد" بيده، بدأها بجملة مقتبسة من سطورها المنثورة على صفحات الأچندة، وأضاف اليها عبارة مؤثرة..

"أحببتُكِ حتى بلغ الحب منتهاه، وعشقتك حتى سئم العشق مني".

وكأن "دينا" تقرأ لكاتبٍ عاطفي شديد الحساسية، وليس "خالد" الذي لا تعرف المشاعر طريقها إلى قلبه. استكملت "دينا" القراءة حتى نهايتها، وقد مست كلمات "خالد" قلبها، شعرت براحة داخليه لكونها استطاعت أن تواجهه بكل ما يزعجها، حتى لو كان ذلك من خلال السطور، كذلك عرفت ما يؤرقه ويعكر صفو حياتهما معاً، إنه "محمود"، فهل بات واضحاً عليها أنها كانت تحبه في صباها؟!

نعم كانت تحبه، لكنها خشيت أن يكون صورة مصغرة من والده الذي كان زير نساء، سئ السمعة، أنفق الكثير من المال على نزواته، لم تتحمل عمتها الحياة معه، فقد عاندت أسرتها التي اعترضت عليه، وأصرت على الزواج منه، معتقدة أنه سوف يكتفي بها، هذا ما عرفته من والدها، الذي نصحها ألا تكرر خطأ عمتها مرة أخرى، إلى جانب علاقته السيئة بوالد

"محمود"، جراء ما اقترفه من أخطاء في حق أخته. هربت "دينا" من تلك المشاكل الأسرية إلى "خالد"، الذي وجدت فيه الجدية والوقار، فأحبته، ربما يكون استغل الصراع المحتدم بين أفراد العائلة التي كان أفرادها، الجد، الجدة، العمة والدة "محمود"، يضغطون على والد "دينا" حتى يوافق على "محمود" كزوجٍ لابنته.. كان "خالد" يعلم جيدا خبايا الأمور المستترة خلف الكواليس، فمحمود كان دائم التردد على خاله في عمله، ليتحدث معه بعيداً عن منزل العائلة.

تقدم "خالد" لـ "دينا" التي كانت متعطشة للاحتواء والاستقرار، لم يكن والدها معترضاً عليه، بل كان متحفظاً بعض الشيء، إلا أنه بارك زواجهما حتى يضع حداً للصراع العائلي المشتعل، ويحرر ابنته من تلك العلاقة المحمومة.

لم يكن زواج "دينا" بـ "خالد" إلا قراراً اتخذته بمحض إرادتها، بعد أن أيقنت أن والدها لم يكن مُتجنياً على "محمود"، الذي رغم حبه لها تتعدد علاقاته بالأخريات مما كان يثير حفيظتها.

ظلت "دينا" تتذكر ماضٍ ولى، لم ينس أبطاله ثأرهم،

فها هي "شاهيندة" تنتقم من "دينا" التي فازت بـ "خالد"، ومحمود يتحالف معها ليستعيد "دينا" مرة أخرى.

أصبحت الأمور معقدة، فربما يكون "خالد" قد أخطأ في أمور عدة، وكذلك "دينا" التي تواجه نفسها لأول مرة وتسأل: هل قصرت تجاه "خالد" لكونها لم تحاول أن تعذره أو تفهمه؟!

أم أن كلماتها لمست قلبه المغلق ففتح لها الباب على مصراعيه من شدة حبه لها؟

أحقاً يحبها كما قالت لها طنط "فاطمة"؟ وماذا عن "شاهيندة" إذاً؟

هل كتب كل الحقيقة أم أن هناك من الخبايا ما يخفيه؟!

أسئلة كثير ة تحتاج إلى إجابات،ويبقى السؤال الأهم، ما الذي ينبغي عليها أن تفعله؟

الفصل التاسع عشر

رغم العنف الذي شاب كلام "خالد" لـ "دينا"، إلا أنه لم يشعره بالراحة ولذة الانتصار، الشعور الذي كان ينتابه بعد كل شِجار له مع "دينا"، بل إنه لم يتمالك نفسه بعد إغلاق الخط وقد أجهش في البكاء.

"خالد" يبكي كالطفل التائه، يبكي نادماً، متألماً، شاكياً، متمنياً أن تتحسن الأحوال، متعهداً في قرارة نفسه على التغيير، إنه يشعر أن الأمور تنفلت من بيد يديه وأن بيته أصبح على حافة الانهيار.

لم يعد يعرف ماذا يفعل، كل الذي يعرفه أنه يحب "دينا" ويحب أولاده، ولا يريد أن يهدم بيته، لكن كبرياءه يؤرقه .. جلس يلتقط سيجارة وراء الأخرى، لعله يجد حلاً.

مرت تلك الليلة العصيبة على كليهما، وهما لا يزالان عالقان، تراودهما أفكار عدة من هنا وهناك، تزيد من حيرتهما، ها هي "دينا" غلبها النعاس من شدة التعب، بعد مكالمة "محمود"، وفرط التفكير الطويل دون جدوى، حتى أنها نامت أمام التلفاز الذي كانت تتابع خلاله الحلقة.

دخلت الحاجة "فاطمة" لتطمئن عليها، وجدتها نائمة، فأغلقت الأنوار والتلفاز وغطت جسدها المنهك نفسياً وجسمانيا، أما "خالد" فقد نام في وقت متأخر بعد أن تناول عقاراً يساعده على النوم الذي جفاه.

صباح اليوم التالي استيقظ "خالد" على صوت حركة وضجيج داخل الشاليه، فقام مسرعاً ليستطلع الأمر، فوجد "دينا" التي وصلت لتوها، تفرغ ما أحضرته معها من متطلبات، تضع الإفطار على الطاولة وتسأله:

- هل تريد (شاي) مع الإفطار أم (قهوة)؟

فأجابها "خالد":

- أريد (إسبرسو) ولبناً منزوع الدسم إذا وجد.

لم يكن "خالد" يتوقع أن تأتي إليه "دينا" وتسير الأمور بينهما بهذا الشكل.

كان "خالد" سعيداً، يود لو يستطيع أن ينهض ويحتضن "دينا" ويقول لها كم هو يحبها، إلا أنه كان يعلم أن الأمور أكبر من أن تدار بالعواطف، بل لابد من مراجعة وكشف حساب.

مر الوقت في هدوء، حتى رن جرس التليفون الخاص بـ "خالد"، والذي تجاهله تماماً ولم يُجِب، بل اكتفى بالضغط على الزر الجانبي حتى توقف الصوت تماماً.

- أظنها "شاهيندة"، ولكن التوقيت لديها الآن لا يزال مبكراً .. قرأت خواطرك التي سطرتها داخل أچندتي، لكنك لم تستكمل قصتك معها، أظن أنه آن الأوان لي أن أعرفها

- إنها تعاني من صدمة نفسية عنيفة أفقدتها توازنها وحولتها إلى ما هي عليه، أنت تعرفين أنها فقدت والدتها، هذا هو الجزء الذي يعرفه الجميع، أما باقي القصة التي لا يعرفها أحد، هي أنها شاهدت والدها، الذي كان دائم الشجار مع والدتها، وهو يحملها ويلقي بها من الشرفة، ثم بكى عليها أمام الناس بكاءً حاراً حتى لا يشك به أحد، وقد قيدت الواقعة على أنها انتحار، ولم تستطع هي أن تتكلم أو تواجه والدها خشية أن يفعل بها كما فعل بزوجته

- إنها قصة مؤلمة حقا!

- لقد قلت لك إنها تعاني من تناقض، وهذا يفسر زيجاتها القصيرة المتعددة، فهي لا تثق بأي رجل.

- لكنها تثق بك أنت دون غيرك، وإلا ما كانت لتحدثك عن سر كهذا .. أليس كذلك؟!

فهم "خالد" مقصد "دينا" وأراد أن يغير الموضوع، ويحول الدفة إلى الاتجاه المعاكس.

- لماذا اتصلت بمحمود، ولم تتصلي بي عند حاجتك لنقل طنط "نهاد" إلى المستشفى؟

- كان الموقف صعباً للغاية، مستشفيات العزل مكتظة بالمرضى، كنت أريد منه أن يساعدني بصلاته ويجد مكاناً لها، ثم إنني خشيت أن تخذلني ولا تقدم لي يد العون.

- هل هذا ظنك بي؟!

- إنه ما اعتدت عليه منك دوماً، ألم تشاهدني وأنا أركض وراء سيارة الإسعاف ولم تحرك ساكناً؟

- كيف عرفت هذا الأمر؟ لابد أنه "محمود"، هذا الشبح الذي لا يزال يطاردني حتى الآن.

- ولماذا لم تسأل نفسك كيف عرفت أنا كل تلك التفاصيل؟

- ربما تكونين لمحتني أثناء تلك الأحداث.

- لا، هل اتفقت مع "شاهيندة" على الزواج؟

بدت على "خالد" علامات الارتباك والدهشة، ثم قام من مقامه ورد بانفعال:

- من قال لك هذا؟
- لماذا كل هذا الانزعاج، اجلس مكانك، لايزال بيننا ما يجب أن نناقشه.
- أنا لن أناقش شيئاً، ولن أستمع إلى هذا الهراء.
- عن أي هراء تتحدث؟ عن تلك الحرباء التي تتعمد مضايقتي وتساعدها أنت في ذلك، تلمح لي دائماً أنك كنت متيماً بها وأنها تمنعت عليك، أعرف منها أخبارك وخط سيرك واجتماعات العمل التي ترافقك خلالها دون غيرها، استغلتك كي تصل إلى ما وصلت إليه من منصب كنت أنا مرشحة له، لولا الظروف التى عرفتها مؤخراً، فلولا ما قرأته ما كنت لتعلم شيئاً عني.

تتحدث دائما إلى غيري باهتمام وإنصات، أما أنا فليس أمامي إلا أن أكون الصورة التي تريدها أنت، حتى ترضى عني، امرأة ذات منصب تفتخر بها ولا يهم أن تكون بلا قلب، ألم تفكر يوماً لو لم أرع بيتي ما الذي كان سيحدث لأولادك؟ طنط "فاطمة"، ماما "نهاد"!

- ماما "نهاد"؟!

- نعم يا "خالد"، سامحتها عندما أعادت لي ما سلبته مني، فهي التي طلبت أن أناديها ماما، وهي نفسها من طلبت مني وأنا طفلة أن أكف عن هذا النداء، وأستبدل به "طنط"، ليس هذا فحسب، بل أعطتني عقد هبة لشقة والدي التي أصرت من قبل أن تصبح ملكاً لها، فهي تعرف أن تلك الشقة لها منزلة في قلبي، ففيها عاشت أمي.
- وكذلك "محمود"، فلكليكما ذكريات جميلة في هذا المنزل، أظنكما استعدتماها معاً في الأيام الماضية.
- عن أي أيام تتحدث؟! عن تلك التي قضيتها بعد دخول ماما "نهاد" العزل، لم يكن هذا بخاطري، بل إن الأطباء من طلبوا مني المكوث بمفردي لفترة، كنت مضطرة أن أظل بعيدة عنكم.
- نعم، وهل كان "محمود" مضطراً أن يظل بجانبك!
- أنا لست مسؤولة عن تصرفات غيري، وإنما أنا مسؤولة فقط عن تصرفاتي.
- ألم يكن يأتي إليك يوميا ليقضي معك يومك!
- كيف عرفت كل تلك التفاصيل؟ لابد أنها "شاهيندة".
- إنني لم أجد غيرها بجانبي في تلك الفترة، إنك من اضطرتني لذلك، فلا تلومي إلا نفسك، ثم إنك تتحدثين عن الإيذاء النفسي الذي تسببت لك فيه، ولا

تحدثينني عن إيذائك أنت لي، صمتك الدائم حتى أنني أحيانا كنت أتعمد استفزازك لعلي أسمع صوتك، متابعتك بإعجاب لبرنامج ابن عمتك، معبود الجماهير، والمكالمة الأسبوعية التي يجريها معك بعد كل حلقة، كأنك تقولين لنفسك إنكِ أخطأت الاختيار.

- لكنك لم تعترض يوماً، وما بال اجتماعات العمل مع تلك الحسناء خارج مقر الشركة التي كانت تعرضني للهمس واللمز من باقي الزملاء؟ فضلا عن نظرات كيد النساء التي كنت ألمحها في عينيها، إلى أن عرفت منها أنها انتقلت إلى فرع الشركة بنيويورك، ومن بعدها بدأت أنت إجراءات سفرك إلى هناك.

رن جرس هاتف "خالد" في تلك اللحظة، فما كان من "دينا" إلا أنها باغتته وفتحت الخط على مكبر الصوت..

- "خالد" .. صباح الخير يا حبيبي، عندي لك أخبار سارة، لقد أرسلت لي شركة مصر للطيران (إيميل) تفيدني فيه أنها تعد رحلة لنقل العالقين المصريين في أمريكا ليعودوا إلى مصر في أقرب وقت، وأن اسمي مسجل لديهم، إذا سوف أعود أليك ولن أتركك هذه المرة أبداً.

أغلق "خالد" الخط وحاول الإمساك بـ "دينا" التي همت بالبحث عن حقيبتها الشخصية استعداداً للرحيل.

كان الموقف ساخناً إلى أقصى الحدود، "دينا" تبكي ولا تريد أن تسمع "خالد" الذي يحاول تهدئتها، تتناول حقيبتها، التي تعلق بها "خالد" ليجذبها، فتسقط على الأرض وتتبعثر محتوياتها، فتجمعها "دينا" في عجالة وتنصرف، تستقل سيارتها وتنطلق بسرعة.

الفصل العشرون (الأخير)

وكأن الشيطان يصر على التفريق بين زوجين محبين لبعضهما البعض، ولكنهما عالقان، يفتقدان الأسلوب الأمثل للحوار البناء، انشغلا بأمور جانبية ونسيا أن هناك من يسعي جاهداً لهدم حياتهما.

إن ما بينهما ليس إلا أزمة منتصف العمر، حصيلة أوجاع سنين لم يفصحا عنها، تلك هي المشكلة الحقيقية، الحوار المفقود بين الزوجين، المساحة، الإنصات، الاهتمام، الاحتواء، التقدير، المؤازرة، التعبير عن الحب بالكلمة والفعل، مناقشة ما يزعجهما بأسلوب راقٍ، فكلاهما يعتقد أن الآخر يجب عليه أن يفعل له ما يريده، إنها التوقعات الهدامة، وإنما تمر الحياة وكلاهما يحبس بداخلة رواسب دون تفريغ أو إفصاح، دون حلول جزرية، إنه الصمت العقابي الذي يمارسانه تجاه بعضهما البعض، يظن كل منهما أن الآخر يعرف ما بداخله ويتعمد إيذاءه، إنها معتقدات خاطئة، فأين فن التعبير المتحضر، هذا هو ما يحتاجان إليه، وليس هما فحسب وإنما أغلب الأزواج في تلك المرحلة، حتى يفاجؤوا أنهم لا يستطيعون الاستمرار معاً أو حتى المعاتبة ، فقد فات أوانها، وقد

ارتفعت الحواجز إلى أعلاها، ولم يعد الحوار مُجدياً. تأخذهم الكبرياء ويثأرون لأنفسهم بالإصرار على الانفصال، حتى إذا ما حصلوا عليه، اكتشفوا أنهم لم يصلوا إلى ما كانوا يبتغونه من الراحة، ويكتشفون أنه ما كان ينبغي أن تصل الأمور بينهم إلى ما هي عليه، وتبدأ مرحلة الصراع الداخلي والندم دون جدوى، وهكذا تتهدم الأسر، وتمتد آثار الخراب إلى أبناء ممزقين نفسيا، تترسخ لديهم صورة مظلمة عن الحياة الزوجية، وربما يكررون تلك الأخطاء مع شركائهم في المستقبل، إنها توابع لما عاصروه من مشكلات بلا حلول.

بدأت "دينا" طريق العودة وهي في حالة يُرثى لها، فقد صدق "محمود" عندما حدثها أن "خالد" و"شاهيندة" قد اتفقا على الزواج، ولكن هل هما على علاقة آثمة؟
إنها أفكار مثيرة تراود "دينا" فتزيدها وجعاً.
مسحت "دينا" دموعها، وارتدت نظارتها الشمسية، فهي تمر بكمين في الطريق، حيث طلب منها ضابط المرور أن تتجه بسيارتها إلى جانب الطريق، حيث تجاوزت السرعة المقررة، على غير عادتها، فهي شخصية ملتزمة إلى أبعد الحدود، إلا أن ما تمر به من ألمٍ نفسي جعلها لا تشعر بسرعتها.

طلب منها الضابط رخصة السيارة ورخصة القيادة ومبلغاً مالياً، فبحثت في حقيبتها عن حافظة النقود التي تحتفظ بداخلها بالرخص المطلوبة، إلا أنها لم تجدها، فارتبكت، وانهارت من البكاء، فهي لا تدري ماذا تفعل!!

رفق الضابط بحالها وأيقن أنها تمر بظروف عصيبة، طلب منها أن تهدأ بعد أن ناولها زجاجة مياه، وقد سألها إذا كان بإمكانها أن تتصل بزوجها كي يحضر لها أوراقها المفقودة، إلا أنها هزت رأسها بالرفض واستمرت في البكاء، فاستأذنها الضابط في رقم زوجها، فأعطته إياه.

ظهر "خالد" بعد وقت وجيز لا يتناسب مع المدة التي يتطلبها الوصول، وقد تحدث إلى الضابط حديثاً ودياً بعدما قدم له الأوراق المطلوبة، ثم ارتفع صوتهما بالضحك، مما أثار حفيظة "دينا"، وما كان من الضابط إلا أنه اصطحب "خالد" معه وتقدما نحوها، ثم بدأ يداعبها قائلا:

- "أنت ارتكبت ثلاث مخالفات، الأولى تجاوز السرعة المقررة، والثانية القيادة بدون رخص، والثالثة تشاجرت مع زوجك، الأولى والثانية لهما حل، أما الثالثة فحلها الوحيد أن تعودا معاً إلى العين السخنة

لإصلاح ما بينكما، والا سأضطر إلى القبض عليه ووضعه في الحبس، هل تعرفين لماذا؟ لأنه تعمد أن يخفي حافظة نقودك عندما تبعثرت متعلقاتك على الأرض حتى يلحق بك في الكمين".

ضحكت "دينا" وسط دموعها المنهمرة على وجنتيها، فضمها "خالد" إليه حتى هدأت، ثم طلب منها أن تعود معه إلى العين السخنة، فما كان منها إلا أنها أخرجت له شاحن (اللاب توب) الخاص به، فقد أخذته معها إلى منزل أبيها، حتى يبحث هو عن شاحنها داخل الحقيبة السوداء، ربما يدفعه الفضول إلى قراءة خواطرها التي تتحدث إليه نيابة عنها، ثم أعطت له هاتفها تطلعه على الرسالة التي تلقتها من "محمود" بالخطأ.

نظر إليها "خالد" قائلا:

- إنهما لا يستحقان إلا أن ننأى بأنفسنا عنهما.

وهكذا كُتبت لهما النجاة من المصير المؤلم الذي يهدد العديد من الأزواج في فترة تعد من أخطر فترات العمر.

القاهرة في ٢١ سبتمبر ٢٠٢٢

السيرة الذاتية

* داليا العطار

* حاصلة على بكالوريوس محاسبة - جامعة القاهرة

* دبلومة الموارد البشرية - الجامعة الأمريكية ٢٠١٩

* صدرت لها رواية "حياة نور" - يونيو ٢٠٢٢ عن سلسلة كتاب طيوف.

(أقدم لكم نبذة عن بعض المشكلات الزوجية داخل بيوتنا من خلال روايتي الثانية "كشف حساب").

أتمنى لكم قراءة سعيدة


كتاب طيوف